الفصل الرابع

خالد بن الوليد

رضي الله عنه

خالد بن الوليد (رضي الله عنه)

نسبه ونشأته:

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي . سيف الله أبو سليمان . كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل ، وشهد مع الكفار الحروب إلى عمرة الحديبية [١] .

كان والده أغنى أبناء زمانه في صفوف الثراء المعروفة بينهم كافة : الذهب والفضة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجواري والعبيد، وسمي من أجل ذلك بالوحيد ، ولقب من أجل ذلك بريحانة قريش[٢] .

وهو الذي قال فيه القرآن الكريم :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ﴾ (المدثر) .

لذلك لم يحترف خالد حرفة معينة تدر عليه شيئاً من المال ، وإنما اقتصر عمله منذ الصغر على تدريب الفروسية واستعمال السلاح ، فكان يتفوق على أقرانه في ذلك واشتهر بين قومه بقدرته القتالية العالية وأيضاً قدرته القيادية .

وهنا تخطر لنا قصة لها علاقة بتفوق خالد على أقرانه منذ الصغر وهي قصة المصارعة بينه وبين عمر بن الخطاب وهما غلامان . فاستطاع خالد أن يغلب عمر بن الخطاب ويكسر ساقه في هذه المصارعة .

---

(١) الإصابة ١/ ٤١٣ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ٢٤ .

وهذه القصة تنبئنا كما يقول عباس العقاد: «بدراية باكرة بفنون الصراع والكفاح»[١].

ولقد تنبه الوليد بن المغيرة لقدرات ابنه القتالية وما يمتلك من شجاعة فأخذ يُهيؤه لمواطن القتال والفروسية منذ نعومة أظفاره. وما إن شب خالد واشتد ساعده حتى ولاه والده أمر القبة والأعنة[٢] رغم صغر سنه. والقبة هي خيمة عظيمة يضربونها ليجمعوا فيها عدة القتال، والأعنه هي الخيل وفرسانها، وولاية خالد هذه الوظيفة الموكلة إلى قبيلته بين بطون قريش جميعاً هي آية استعداده للرئاسة والقيادة منذ صباه.

ولم يقتصر خالد على تهيئة والده له بل أخذ يُهيئ نفسه على شظف العيش وما تحتاجه المعارك. فلا يوجد دافع أقوى من الدافع الذاتي الذي ينبع من ذات الشخص ليتخطى كل العقبات والمصاعب، وفعلاً استطاع خالد أن يروّض نفسه على الخشونة في البادية ليستطيع بذلك تحمل مضانك الحرب وشدائد الجوع والظمأ.

جاء في بعض الأحاديث أن خالداً كان يأكل الضب ويشتهيه كما يأكله الأعراب ويشتهونه، وهو أغنى الناس في مكة وممن يتفنون في أنواع الأطعمة.

قال ابن عباس رواية عن خالد أنه دخل مع رسول الله على خالته ميمونة بنت الحارث فقدمت إلى رسول الله لحم ضب جاءها مع قريبة لها من نجد، وكان رسول الله لا يأكل شيئاً حتى يعلم ما هو، فاتفق النسوة ألا يخبرنه حتى يرين كيف يتذوقه ويعرفه إن ذاقه. فلما سأل عنه وعلم به تركه وعافه فسأله خالد: أحرام هو؟ قال: "لا.. ولكنه طعام ليس في قومي

---

(١) عبقرية خالد، ص ٢٨.

(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٢، أسد الغابة ٢/ ٩٣.

فأجدني أعافه ...» قال خالد : «فاجتررته إليَّ فأكلته ورسول الله ينظر» .

كما كان لخالد علم بالبادية العربية من حيث أنه سافر كثيراً في الجزيرة قبل الإسلام ولعله عرف في تلك الأسفار دروبها العصيبة التي كان يطرقها من العراق إلى الحجاز ومن الحجاز إلى اليمن ومن نجد إلى الشام . ويقول العقاد : «وبعضها كان يعتسفه على عجل بغير أدلاء» .

كما يضيف العقاد قائلاً :

ولكن الأمر الموثوق به كل الثقة ، والذي لا موضع فيه لترجيح ولا استنتاج أن خالداً قد نشأ في الحاضرة أو البادية مستعداً للخشونة مستطيعاً لمعيشة الأعراب مستجيب السليقة والبيئة لما يتكلفه المجاهد في أوعر القفار وأعنف الحروب ، وكانت له ضلاعة العصبيين الأقوياء المعهودين بين رجال السيف ، وهي ضلاعة يوشك أن تستمد من حماسة النفس وشهامة القلب أضعاف ما تستمده من العضلات والأوصال .

وهذه الخشونة من تدريب النفس على المشاق وإجبارها على ما تكره قد سبق خالد بن الوليد بذلك نابليون عندما كتب تقريره وهو طالب في المدرسة الحربية يعيب على النظام يومئذ أنه يسمح لأبناء الأعيان بمعيشة الترف واستصحاب الخدم بين جدران المدرسة ، وهم أحرى بخدمة أنفسهم في مدرسة يتعلمون فيها الصبر على شدائد الحروب [١] .

فروسيته في الجاهلية :

ومما يدلنا على تفوق خالد وبراعته في القتال ما ناله من سمعة وشهرة بين أقرانه من الشباب في الجاهلية وترشيح والده له لقيادة الخيل ولم يكن أكبر أبنائه . حيث ولاّه أمر القبة والأعنة كما ذكرنا سابقاً ، ونستطيع أن نسميها في العصر الحديث (رابطة الفرسان) وما إن اشتد ساعد خالد بن الوليد وبلغ مبلغ القادة

(١) عبقرية خالد، ص ٣٠ .

والفرسان حتى برز بدافعية قوية وعزيمة وشجاعة ظهرت فيها حنكة القائد وذلك في غزوة أحد بعد موت والده بسنتين . فقد كان قائد الميمنة مع الجيش المشرك في وقعة أحد وتولى الهجمة التي مالت بكفة النصر من جانب المسلمين إلى جانب المشركين .

وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام أقام الرماة من وراء جيشه وقال لهم : **«قوموا على مصافكم هذه واحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا»** (١) . فلما ولى المشركون منهزمين وتبعهم المسلمون مغتنمين ، خالفت كثرة الرماة وصاية النبي وتصايحوا بينهم : «ما مقامنا ها هنا وقد انهزم المشركون» . فكانت هي الغرة التي استغلها خالد ، ولم تذهله عنها الهزيمة . فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل صاحب الميسرة وداروا من وراء جيش المسلمين ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد اللّه بن جبير ، وانتفضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم واختلطوا فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهشة ، وشاع أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قتل في المعركة ، وقتل فيها حمزة وسبعون من الأنصار ، وأرجف المرجفون بكبار الصحابة حتى ظن أبوسفيان أن أبا بكر وعمر من القتلى ، وصاح بين الصفوف : «يوم بيوم بدر والحرب سجال»(٢) .

واشترك خالد في موقعة الأحزاب حيث جمعت قريش أغلب القبائل العربية وحاصرت المسلمين في المدينة ولم يمنعهم من دخولها إلا ذلك الخندق الذي وضعه المسلمون حولها (٣) والذي أشار بحفره سلمان الفارسي، حيث كان من الأساليب المتبعة عند الفرس، ولم يكن معروفاً في قتال العرب.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٤ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ٣٧ .

(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٦٠ .

وقد كان خالد في هذه الغزوة يطوف بخيله حول الخندق يلتمس مضيقاً يقحم منه الخيل، فأعياه وفشل عمرو بن ود حين حاول العبور من إحدى نواحيه. فلما حبطت حملة عمرو وقتله علي بن أبي طالب[١]، بات المشركون ليلتهم يقسمون كتائبهم لكل فريق من المسلمين كتيبة تدهمه مع الصباح، فكان خالد هو الموكل بالنبي عليه السلام في كتيبة من خيل قريش والأحزاب، فاندفع يقاتل، إلى أن تحاجز الفريقان ورجع المشركون وانصرف المسلمون إلى قبة النبي، فرجع خالد بعد هنية يطلب الغرة، وكاد يظفر بها لولا حرس من المسلمين بقيادة أسيد بن حضير تنبه له وفوت عليه غرضه. ثم انقطع القتال وهو لا يزال على الطلب والطواف، وكان آخر من ترك أرض المعركة بعد يأس الأحزاب من عبور الخندق ودخول المدينة، فلبث هو وعمرو بن العاص على مؤخرة الجيش في مائتي فارس رداءً للجيش كله، مخافة أن يتعقبه المسلمون [٢]، وهذا مما يدل على شجاعة خالد واستئثاره بالخطر دائماً دون جيشه.

كما تصدى خالد مرة أخرى للنبي عليه السلام في سنة الحديبية وهو في طريقه إلى مكة، وكان النبي قد خرج إليها معتمراً في نحو ألف وخمسمائة من المسلمين لا يحملون سلاحاً غير السيوف في القرب، فأوجس المشركون خيفة أن يكون قدومه إلى البيت الحرام للقتال لا للعمرة، وندبوا خالداً في مائتي فارس للقائه قبل بلوغ مكة. فدنا خالد حتى نظر إلى أصحاب رسول الله، وأمر رسول الله عباد بن بشر فتقدم في خيله وأقام بإزائه وصف من ورائهم رجاله، ثم حانت صلاة الظهر فصلى رسول الله بأصحابه صلاة الخوف، وهم خالد أن يغير عليه لولا نخوة من الفروسية أبت له العدوان على المسالم، وقال خالد يصف ذلك بعد إسلامه: «هممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا، وكان فيه خيرة، فاطلع على ما في أنفسنا من الهجوم به فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعاً، وقلت الرجل ممنوع» [٣].

---

(١) عبقرية خالد، ص ٣٨.

(٢) قادة فتح العراق و الجزيرة، ص ٦٩.

(٣) عبقرية خالد، ص ٣٨.

ويجب أن نقف وقفة تأمل مع عداء خالد للإسلام وكراهيته له سواء في الحروب والقتال، وما فعله عندما دخل المسلمون مكة للعمرة فلم يستطع خالد تحمل ذلك فما كان منه إلا أن تغيب عن جوار البيت حتى اعتمر المسلمون ورجعوا من حيث أتوا وذلك لكي لا يرى الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه يعتمرون وهم أنداده وعدوه وفي الوقت نفسه لا يستطيع محاربتهم.

فإن عداوته للإسلام لم تكن كراهية من ذلك النوع البغيض بل هي كما يقول العقاد: إنها من تلك الكراهية التي هي أقرب إلى المبارزة والمناجزة منها إلى المقت والضغينة [١].

مهارة التفكير تقوده إلى الإسلام:

لقد كانت شجاعته ومهارته في القتال أحد الأسباب من وراء إسلامه، فقد بلغت به الثقة بنفسه وقدراته القتالية مبلغاً كبيراً يستطيع به الانتصار على أية قوة أمامه. وقد تم ذلك في الواقع وليس في الخيال، فكان ينتصر على أقرانه في الصغر، وفي غزوة أحد استطاع أن يقلب انتصار المسلمين إلى هزيمة.

إلا أن الأمر الذي قاده إلى الإسلام هو ذلك السؤال الذي يدور في ذهنه ويشغل تفكيره: كيف استطاع محمد وأصحابه الصمود رغم ضعفهم وقلة عددهم في معارك كثيرة منها بدر والأحزاب وهم الجانب الأضعف والأقل [٢] وهنا بدأ يبحث عن الأسباب، أهي قوة العقيدة أم قيادة محمد وحنكته السياسية، أم سمو ما يدعو إليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- أم إلى تلك العوامل والأسباب جميعاً؟.

وظل هذا السؤال يشغل تفكير خالد بن الوليد طوال حروبه مع المسلمين. وعندما رأى انتصار المسلمين وظهور أمرهم هداه تفكيره الذي كان يتساءل

---

(١) عبقرية خالد، ص ٣٩.

(٢) المدرسة العسكرية، ص ١٦.

بتعجب ، كما يقول العقاد أن خالداً آمن باللّه لأنه علم من ذات نفسه أنه لم يغلبه إلا اللّه ، وكأنه كان يقول في قرارة ضميره : أيهزمني أحد وليس له مدد من النبوة ؟ أيعلو سيف على سيفي وليس له سر في السماء ؟ . فبلغ نهاية الإيمان بنفسه يوم بلغ بداية الإيمان باللّه (١) .

وقد خلا يوماً إلى نفسه وأخذ يفكر في أمر محمد وما صار إليه وكيف أنه بشجاعته وثقته العالية بقدرته القتالية مع جموع قريش وقبائل العرب لم تستطع أن تفعل شيئاً في غزوة الأحزاب . ومن هنا أدرك أن ما أتى به محمد بن عبداللّه حقاً وأنه رسول من رب العالمين . فقال قولته المعروفة : «واللّه لقد استقام المنسم وإن الرجل لرسول ، فحتى متى؟ أذهب واللّه ، فأسلم»(٢) .

ولنستمع إليه ـ رضي اللّه عنه ـ وهو يروي لنا قدومه ومبايعته للرسول عليه الصلاة والسلام :

« . . وودت لو أجد من أُصاحب ، فلقيت عثمان بن طلحة ، فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة ، وخرجنا جميعاً فأدلجنا سحراً . . فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص ، فقال مرحباً بالقوم ، قلنا : وبك . .

قال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه ، وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي ليُسلم . .

فاصطحبناه حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان . . فلما اطلعت على رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- سلمت عليه بالنبوة فردّ عليّ السلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق .

فقال الرسول : **«قد كنت أرى لك عقلاً رجوتُ ألا يُسلمك إلا إلى خير»** .

وبايعتُ رسول اللّه وقلت : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صد عن سبيل اللّه .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٣٥ .

(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٥٨ .

فقال : **"إن الإسلام يجب ما كان قبله"**، قلت : يا رسول الله على ذلك .

فقال : **"اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك"** .

وتقدم عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة ، فأسلما وبايعا رسول الله[١]، وكان إسلام خالد بن الوليد وصاحبيه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بداية الإذن والمؤشر القوي لفتح مكة .

فخالد بن الوليد هو قائد القتال وعمرو بن العاص هو قائد السياسة .

وكان إسلام خالد وصحبه هو انتهاء الجولة بين قريش والإسلام . فلم يبق لمكة إلا أن تستقبل هذا الدرس وهي طائعة، وإن العناد ومواجهة الإسلام لم يعد إلا ضرباً من العبث وقلة البصيرة .

لذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لما رأى خالد بن الوليد وصاحبيه **"رمتكم مكة بأفلاذ كبدها"**[٢] .

الدروس المستفادة:

١ ـ إن الاهتمام بتربية الأولاد وبخاصة المتفوقون قد عرف منذ الجاهلية كما رأينا من تهيئة الوليد بن المغيرة لابنه خالد حيث ولاه أمر القبة والأعنة منذ صغره لتدريبه على القيادة والفروسية ، كما درّبه على استعمال السلاح ومهارات القتال .

٢ ـ في معركة أُحد طبق خالد أسلوب إدارة القائد للمعركة وقيامه باستطلاع الأرض والإلمام بأوضاع الأرض ثم تقدير الموقف السريع والإنجاز السريع لاستغلال الفرص، وهذا مما يدلنا على سرعة البديهة عند خالد بن الوليد .

٣ ـ لنا في غزوة الخندق عدة دروس لعل أهمها :

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٥٩ .

(٢) الاستيعاب، ص ٤٠٦ .

ـ أهمية الشورى وعدم استبداد القائد برأيه مهما بلغ من العلم والمكانة، فهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى وسيد البشرية جمعاء، يستشير الصحابة ويأخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق حول المدينة.

ـ ومن أهم وسائل النجاح وتحقيق الإنجازات، أن لا يتبع الإنسان نفس الطرق التي اتبعها من قبل وجربها؛ لأنها ستؤدي إلى نفس النتائج، بل عليه أن يبحث عن طرق جديدة غير تلك المألوفة وهذا ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما حفر الخندق، مخالفاً بذلك الطرق القديمة التي اعتادها العرب في حروبهم، مما جعل الأحزاب يقفون أمام الخندق في حيرة ودهشة، لا يعرفون كيف يتعاملون معه، مما عرقل سيرهم فكان من أسباب هزيمتهم وانتصار المسلمين.

ـ في الجانب الآخر في صفوف المشركين يقدم لنا خالد بن الوليد استئثار القائد بالخطر دون جنوده مما يحببه إلى نفوس الجنود ويجعله محل ثقة.

٤ ـ في إسلام خالد يتضح لنا أن المتفوق غالباً ما يجره تفوقه وقدرته إلى التفكير بكل خير.

فروسيته مع النبي عليه الصلاة والسلام:

وبعد أن أسلم خالد بن الوليد احتل مكانة مرموقة من بين الصحابة عند رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-، وخالد كما عرفنا سابقاً له ما له من الشجاعة والقيادة والخبرة في الحروب مما جعله يتفوق على أصحابه في هذا المجال ويقترب من القيادة العليا للإسلام وهو النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- خبيراً بخصائص النفوس وسبر أغوار الطبائع والأفكار. عالماً بقدرات أصحابه ومواهبهم، منزلاً كلاً في منزله، لا يكلف أحداً بأمر أكبر من قدرته واستطاعته، فهذا أبو ذر يأتي إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ويطلب الإمارة. فيصارحه النبي صلى اللّه عليه وسلم قائلاً:

"يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها" (١) .

ومما سارع في إظهار تفوق خالد بن الوليد في القتال ما حدث في غزوة مؤتة ، فقد سارع خالد بن الوليد للانضمام إلى غزوة مؤتة وكان جندياً عادياً تحت قيادة القواد الثلاثة الذين جعلهم الرسول على الجيش : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة ، الذين استشهدوا بنفس الترتيب على أرض المعركة(٢) التي لم تكن متكافئة ، فكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل(٣) وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل ، وبعد سقوط آخر القواد شهيداً سارع إلى اللواء «ثابت بن أقرم» فحمله بيمينه ورفعه عالياً وسط الجيش المسلم حتى لا تبعثر الفوضى صفوفه . . ثم توجه بها مسرعاً إلى خالد بن الوليد ، فرفضها خالد أدباً منه وتواضعاً ومزية تحسب له لأنه يرى أنه حديث عهد بالإسلام ولا يحق له أن يقود قوماً فيهم الأنصار والمهاجرون الذين سبقوه بالإسلام . فقال مجيباً «ثابت بن أقرم» :

[لا . . لا آخذ اللواء ، أنت أحق به . . لك سِنٌ وقد شهدت بدراً] .

وأجابه ثابت : «خذه ، فأنت أدرى بالقتال مني ، فوالله ما أخذته إلا لك» .

ثم نادى في المسلمين : أترضون إمرة خالد ؟ ، قالوا : نعم (٤) .

فتولى خالد إمرة الجيش ، بعد أن كاد يتحدد مصير المعركة ولاحت مظاهر النصر للروم وقد ظهرت بوادر الضعف في الجيش المسلم وكثر قتلى المسلمين مع قلة عددهم . ولم يكن بقدرة بشر مهما كان أن يقلب كفة المعركة من مغلوب إلى غالب والغالب يكون مغلوباً . كما أن الصمود في هذه المعركة غير المتكافئة ضرب من إلقاء النفس إلى التهلكة لا محالة . واحتار القائد الشاب خالد بن الوليد ماذا يفعل؟

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٢٩١ .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٦١ .
(٣) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٥٠ .
(٤) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٧٩ .

أيلقي بجيش المسلمين إلى الهلكة والفناء، ثم إن الجيش قد فقد القواد الثلاثة الذين عيّنهم الرسول عليه الصلاة والسلام . هل يولي الدبر ويهرب من المعركة؟ وهذا على الرغم مما فيه من العار والذل فإنه كذلك محرم لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ(١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ (الأنفال) .

ثم إن الروم سيلحقون بهم من خلفهم ويقضون عليهم ، فالفناء والهزيمة حاصلة لا محالة . . . ولكن سرعان ما تفتقت قدرات خالد العقلية وذكاؤه وفطنته عن خطة تحفظ الجيش المسلم من الهلاك وتحفظ له ماء وجهه ، فاتخذ قراره وبدأ في تنفيذ خطته فثبت ذلك اليوم وقاتل قتالاً شديداً ، فلما أظلم الليل غيّر نظام جيشه ، فجعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة، وكذلك فعل بالميمنة والميسرة، أي أنه سحب جيشه من ساحة المعركة وأبقى ساقة تحمي الانسحاب، نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحة شاسعة من الأرض ، وأمرهم أن يُحدثوا أصواتاً مرتفعة بما لديهم من أدوات حربية، وإثارة الغبار بالخيل التي تدور بسرعة في دوائر ضيقة . . كل ذلك جعل الروم لا يشعرون بانسحاب قوات (القسم الأكبر)[1] من المسلمين ليلاً من جهة ، ويعتقدون أن إمدادات قوية جاءتهم ليلاً ؛ لهذا لم يُقدم الروم على مطاردة المسلمين ، فسهّل ذلك على خالد مهمته في سحب رجاله من ساحة المعركة بأمان ودون أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة ، كما سهّل عليه مهمة سحب الساقة التي سترت انسحاب القسم الأكبر من قوات المسلمين ، وذلك بعد أن اطمأن إلى أن القسم الأكبر من قواته قد وصل مأمنه، ومع ذلك لم يكن سحب الساقة سهلاً ، لأنها كانت بتماس شديد بالعدو من جهة ، ولأنها كانت تشغل منطقة واسعة من الأرض من جهة أخرى ؛ لذلك قاتلت الساقة وعلى رأسها خالد قتالاً بطولياً لكي تستطيع التخلص من

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٤٠ .

الاشتباك. قال خالد : «لقد اندقّت [١] في يدي يوم (مؤتة) تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية» [٢] .

ولما علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بما حدث ، شقّ ذلك عليه ، ونعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال :

«أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذها سيف من سيوف اللّه حتى فتح اللّه عليهم» [٣] .

وعاد خالد إلى المدينة يقود جيش المسلمين ، وبعد أن ترك هذا الجيش ثلاثة عشر شهيداً في ساحة القتال ، وهي خسائر طفيفة جداً بالنسبة إلى ذلك الخطر الذي كاد أن ينهي الجيش الإسلامي بأكمله ، وعند وصول الجيش المسلم إلى المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام في استقبالهم فحياهم وقال :

«إنهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء اللّه» [٤] .

ومن ذلك اليوم أطلق النبي -عليه الصلاة والسلام- وأطلق المسلمون على خالد لقب سيف اللّه [٥] .

وفي فتح مكة جعله النبي -عليه الصلاة والسلام- قائداً للميمنة المكلفة بدخول مكة من المدخل الجنوبي ويحافظ خالد على هدفه في الوصول إلى منطقة إعادة التجمع بجوار جبل هند في نفس توقيت باقي القوات [٦] على الرغم من المعركة التصادمية التي نفذها خالد بقواته عندما تقابل مع مجموعة مشركة يقودها عكرمة بن أبي جهل (الذي لم يكن قد أسلم بعد) .

---

(١) اندقت : انكسرت وتحطمت .
(٢) الإصابة ٢/ ٩٩ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٠ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٥٢ .
(٥) قادة فتح العراق و الجزيرة ، ص ٨٠ .
(٦) المدرسة العسكرية ، ص ١٨ .

وقد عاتب النبي -عليه الصلاة والسلام- خالد بن الوليد على قتاله إلا أنه اعتذر فقال : هم بدؤونا بالقتال ، ووضعوا فينا السلاح ، وأشعرونا بالنبل وقد كففت يدي ما استطعت . فقال رسول اللّه عليه الصلاة والسلام : قضاء اللّه عز وجل خير [١] .

وفي غزوة حنين ظهرت ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- بتفوق خالد واهتمامه بقدراته القتالية . وذلك من خلال إسناد قيادة الخيل له في مقدمة الجيش وسؤاله عنه وعنايته به بعد هزيمة الخيل . وذلك بأن الأعراب بعدما علموا بفتح مكة في السنة الثامنة ، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- سائر إليهم بجيشه الجرّار الذي فتح مكة ولن يستطيعوا مقاومته متفرقين . فما كان منهم إلا أن أجمعوا رأيهم على الاجتماع في جيش كبير . فاجتمعت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم وقالوا : «إن محمداً قد فرغ من قتال قومه ولا ناهية له عنا . فلنغزه قبل أن يغزونا» ، وحرضوا القبائل الأخرى على القتال فلباهم الكثير وتولى قيادتهم مالك بن عوف النضري ، وهو فتى جريء في نحو الثلاثين يجمع إلى غطرسة الإمارة وحمية الفروسية حدة الشباب ولدد الخصومة . . فساق أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، وأمرهم إذا رأوا المسلمين أن يكسروا جفون سيوفهم ثم يشدوا شدة رجل واحد فإما نصر أو فناء . . وصفَّت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم الإبل عليها النساء ثم صفت الغنم . ثم صفت النعم في حراسة لئلا تفر والجيش مشتغل عنها [٢] .

ولما علم النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بذلك خرج بألفين من أهل مكة حديثي الإسلام وعشرة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه من المدينة ، وقيل : إنهم كانوا جميعاً ثمانية آلاف حتى قالوا : لن نغلب اليوم من قلة .

---

(١) مغازي الرسول ، ص ٢١٢ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ٦٤ بتصرف .

وأخرج خالداً على طليعة الجيش في مائة فارس من بني سليم [١] وسار النبي -عليه الصلاة والسلام- بمن معه حتى استقبلوا وادي حنين فانحدروا فيه وهو واد أجوف له انحدار وهم في عماية الصبح ، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه ، فهجموا على المسلمين هجمة رجل واحد أدت بالجيش المسلم إلى التقهقر ، ومن ثم ولى وأدبر حديثو العهد بالإسلام فتبعهم الناس وانسحب عامة المسلمين ، حتى إن أبا سفيان الذي مازال حديث عهد بالشرك قال : لن تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ جبلة ابن حنبل قائلاً : ألا بطل السحر . وفي أثناء ذلك ينحاز النبي عليه الصلاة والسلام يميناً وينادي :

"أيها الناس هلموا إليَّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله".

قالها ثلاثاً ، ثم احتملت الإبل بعضها على بعض في معترك عجيب إلا أنه قد بقي مع رسول الله نفر من المهاجرين والأنصار . ومن بينهم خالد بن الوليد حيث اجتمع إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقاتلهم وهو يقول :

" أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب" [٢] .

وفي هذه المعركة يقف خالد بن الوليد جندياً صابراً ثابتاً مع القائد العام للقوات ولا يثني من عزمه من ولى مدبراً، وفي نفس الوقت يقف بكل شجاعة كقائد للفرسان يعيد تنظيم ما بقي من قواته بمعاونة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يستمر في المعركة حتى نهايتها عند الطائف وهو ينادي ، هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟ مقدماً درساً آخر في الإصرار وتحمل المسؤولية وقوة العقيدة [٣].

---

(١) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٤ .

(٢) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٥ .

(٣) المدرسة العسكرية ، ص ١٩ .

ولقد صحب خالد بن الوليد النبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاث سنوات وتولى للنبي -عليه الصلاة والسلام- أعمالاً أخرى لا تقل أهمية عما سبق، إلا أن ما سبق يعتبر أكبر الأعمال التي نفذها خالد في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وظهرت من خلالها شجاعته وقدراته القتالية وما يظهر تفوقه القتالي من بين أصحابه .

ومن المهام الأخرى التي نفذها خالد في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- إرساله في ثلاثين فارساً لهدم «العزى» بعد فتح مكة ببضعة أيام، والعزى صنم تقدسه العرب في الجاهلية وتعبده . وفي هذه المهمة التي تبدو سهلة من الوجهة الحربية إلا أنها مهمة مخوفة من الناحية النفسية . وفعلاً خرج خالد حتى انتهى إلى «العزى» وهدمها وجاء في بعض الروايات أنه «لما انتهى إليها جرّد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها فجعل السادن يصيح بها :

«أعزى إذا لم تقتلي المرء خالداً فبوئي بإثم عاجل أو تنصري»

فأخذ خالداً « اقشعرار في ظهره، وضربها بالسيف فشقها» (١) .

وفي هذه الواقعة يتبين لنا قوة خالد النفسية وتحمله للمسؤولية حيث إنه تولى قتل المرأة المخيفة بنفسه ولم يوكل قتلها إلى أحد من جنده، فقتل مثل هذه المرأة قد يخيف الكثير من الرجال ، إلا أن خالداً أقدم عليها بكل قوته النفسية والجسدية ، فلو أن أحدهم هرب من أمامها ولم يستطع قتلها لتزعزع إسلام بعض العوام ومن هم حديثو عهد بالإسلام . وفي المقابل سترتفع معنويات المشركين ويزيد تشبثهم بعبادة الأصنام . إلا أن نظرة خالد المستقبلية جعلته يقدم على قتلها بنفسه بكل قوة وثقة بالنفس .

ومن المهام التي قادها في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- بعثته إلى أهل

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٧٢ ، هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٣ .

نجران يدعوهم إلى الإسلام فإن آمنوا واستجابوا قبل منهم وإن عصوا فله قتالهم، فخرج خالد إليهم وبعث الركبان يبشرونهم بالدين الجديد ويشرحون معالمه وفضائله، وهم يقولون: «أيها الناس أسلموا تسلموا» فأسلم الناس ودخلوا فيما دلوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقبل إلى المدينة ومعه وفدهم. فأقبل خالد إلى رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ومعه وفد بني الحارث، فأسلموا وسألهم النبي فيما سألهم: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «**صدقتم**»(١).

وقد شهد خالد مع النبي -عليه الصلاة والسلام- غزوتين لم يجر فيهما لقاء واشتباك وهما غزوة الطائف وغزوة تبوك.

وغزوة الطائف كانت امتداداً لغزوة حنين، حيث لاذت بها القبائل بعد فرارها وامتنعت وراء أسوارها، وهنا ظهر خالد ينادي بالمبارزة فلم يجبه أحد من المشركين، فما كان من النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا أن استشار نوفل بن معاوية الديلي في أمرهم فأجابه: «يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرك»(٢).

كما بعث النبي عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلى بني المصطلق بعد أن بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني (المصطلق) مصدقاً في أوائل السنة التاسعة للهجرة، أي بعد إسلامهم بعامين، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- خالداً وأمره أن يتثبت ولا يعجل؛ فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً. وبعث عيونه، فأخبروه بأن القوم متمسكون بالإسلام،

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٩٢.

(٢) عبقرية خالد، ص ٧٥.

وسمعوا أذانهم وصلاتهم ؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى ما يعجبه ، فرجع إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وأخبره الخبر ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ (الحجرات) .

نزلت في الوليد بن عقبة .

لقد كان موقف خالد في هذه القضية رائعاً حقاً؛ أرسل عيونه ليروا عمل القوم في غفلة منهم ، فلما جاءته عيونه بأخبارهم ، أتاهم هو بنفسه ، فوجد أن أخبار الوليد بن عقبة عنهم غير صحيحة ، وبذلك حقن خالد دماء بني المصطلق ووضعهم في موضعهم الذي يستحقونه (١).

وفي معركة تبوك أرسل رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً في أربعمائة وعشرين رجلاً إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي وكان ملكاً في دومة الجندل كما كان على دين النصرانية، واستطاع خالد أن يقتحم الحصن ويأسر الملك بعد اشتباك دار بينهم قتل فيه حسّان أخو الملك ، وقدم خالد باكيدر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فصالحه النبي -عليه الصلاة والسلام- على الجزية وعاهده على الأمان (٢).

كما بعث النبي -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً لهدم صنم ود في دومة الجندل، (وقد بعثه من غزوة تبوك)، فحالت بنو عبد ود وغيرهم بينه وبين هدمه، فقاتلهم خالد . وبعد دحرهم هدمه وكسّره جذاذاً (٣).

وفي رمضان من السنة العاشرة للهجرة النبوية أرسل رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، ثم بعث علي بن أبي طالب ليقبض الخمس(٤).

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٩ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٧٥ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٠ .
(٤) فتح الباري ٨/ ٥٢ في (قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٣) .

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علياً في جند وبعث خالداً في جند آخر وقال : إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب (١).

وظل خالد بن الوليد إلى جنب الرسول -عليه الصلاة والسلام- جندياً مطيعاً وقائداً شجاعاً ، واضعاً كفاياته الفائقة في خدمة هذا الدين الذي آمن به من كل يقينه ونذر له كل حياته (٢).

وهكذا أنجز خالد في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- أعمالاً باهرة في القتال والسلم على حد سواء. والذي يتمعن في ذلك يجد أنها أعمال كثيرة وكبيرة أُنجزت في فترة وجيزة لا تتجاوز الأربع سنوات . فقد قاتل جنوباً وشمالاً على حدود أرض الشام، وشهد أحد عشر مشهداً ، قاتل في ثلاثة منهما تحت لواء النبي -عليه الصلاة والسلام-، وفي ثلاثة أخرى كان هو القائد، وفي خمسة مشاهد أخرى أنجز واجبه سلماً (٣) ، فكيف استطاع إنجاز هذه الأعمال في هذه الفترة القصيرة ؟.

ولعل هذه الأعمال كانت تهيئة من النبي -عليه الصلاة والسلام- لخالد لما علم فيه من طاقة وقدرات عالية ، وإن هذه الأعمال لتدل على ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- بخالد ، كما أن له «قابليات نادرة في القيادة العسكرية لا يجود بها الزمان إلا نادراً» .

الدروس المستفادة:

١ ـ في معركة مؤتة يتبين لنا حاجة المجتمعات للقائد المتفوق لينقذها مما قد يعترضها من مصائب وكوارث سواء بقوته وشجاعته أو بتفكيره وحسن تخطيطه.

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٣ .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٥ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٣ .

٢ ـ في معركة حنين تبرز أهمية التربية الإيمانية، فكثير من الناس حديثي الإسلام فروا من أرض المعركة وتركوا النبي -عليه الصلاة والسلام- ولم يثبت بجانبه إلا القلة ممن رباهم النبي -عليه الصلاة والسلام- وتمكن الإيمان من قلوبهم.

وجدير بوزارة التعليم أن تهتم بغرس الأمور الإيمانية في نفوس طلابها فلا يصبر على الشدائد ويتحمل أهوالها إلا من رُبي تربية إيمانية صادقة .

٣ ـ أهمية الشورى قبل اتخاذ القرار، وهذا ما كان يفعله النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ذلك استشارته لنوفل بن معاوية في أهل الطائف، والشورى قانون إلهي في دستور المسلمين، قال تعالى حاثاً نبيه على الشورى :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ (آل عمران).

٤ ـ أهمية إعطاء المتفوق فرصة أكبر لإظهار مواهبه ومواصلة تفوقه كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- مع خالد بن الوليد حيث استطاع أن يقدم إنجازات عظيمة في فترة وجيزة .

٥ ـ يعتبر اتخاذ القرار سلاحاً ذا حدين فلا بد أن يُتخذ بحكمة وعقلانية كما فعل خالد مع بني المصطلق بعد أن اتهمهم الوليد بن عقبة بالكفر، ولو أن خالداً اعتمد على كلام الوليد ولم يرسل العيون تتحرى عن القوم لأعمل السيوف في رقابهم على غرة منهم .

قيادته لحروب الردة:

وبعد أن توفي الرسول -عليه الصلاة والسلام- وضع خالد تفوقه العسكري في يد الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فكانت له

أعمال خالدة في حروب الردة ، حيث كانت هذه الحروب تأديباً وقتالاً لبعض القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . فما كان من أبي بكر الصديق إلا أن قاتلهم وقاد بعض المعارك بنفسه، إلا أن كبار الصحابة أجبروه على البقاء في المدينة وعدم مواصلة قيادة المعارك لئلا يفجعهم بنفسه[١]، فقسم أبو بكر الصديق الجيش إلى إحدى عشرة مجموعة، رسم لكل مجموعة[٢] دورها، وعين خالداً أميراً على أربعة آلاف رجل[٣] ، ولما عقد الخليفة لكل أمير لواءه اتجه صوب خالد وقال يخاطبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

"نعمَ عبدالله ، وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله"[٤] .

وتنقسم أعمال خالد في حروب الردة إلى قسمين : أحدهما الذي اشترك فيه مع كبار الصحابة بقيادة الخليفة في المدينة وما جاورها، والآخر الذي استقل به أو استقل على الأصح بناحيته العسكرية .

أما قبائل العرب الذين ارتدوا فقد انقسموا إلى عدة أقسام أهمها تجمع عبس وذبيان وفزارة الذين ساروا لمهاجمة المدينة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فباغتهم الجيش المسلم بقيادة الخليفة أبي بكر الصديق ومزقهم كل ممزق وأبطل نواياهم ، وظهر تجمعان آخران أحدهما تجمع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة .

والآخر تجمع طليحة بن خويلد الأسدي، وهو الآخر ادعى النبوة في «بزاخة» من أرض بني أسد، وقد اجتمع إليه قومه بنو أسد وقيس وحلفاؤهم،

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٥ .

(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٢ .

(٣) عبقرية خالد ، ص ٨٧ .

(٤) حديث صحيح في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم ٦٧٧٦ .

وهناك تجمعات أخرى كأهل البحرين وعُمان والمهرة [١] .

وسار جيش خالد إلى بزاخة بعد أن ودعهم الخليفة الصديق وأوصى الجند بأن يسيروا على اسم اللّه وبركته وأن أميرهم خالد بن الوليد . ثم خلا بخالد وأوصاه بتقوى اللّه والرفق بمن معه ومشاورة كبار الصحابة وأخبره بطبائع من أمامه من القبائل وموقفهم من الإسلام .

وفي أثناء مسير الجيش إلى بزاخه لحق بهم فوق الألف من مقاتلة البطون الطائية ممن تخلى عن طليحة أو كان على نية اللحاق بالجيش المسلم . وطلبوا من خالد بن الوليد أن يعفيهم من حرب بني أسد لأنهم حلفاؤهم منذ الجاهلية ويكفوه حرب قيس . ولم يكن عدي بن حاتم على رأي قومه فقال لخالد : لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنى فالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه . أفأنا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم [٢] ؟

وهنا تتجلى حكمة خالد ومعرفته بنفوس المقاتلين وأثر ذلك على جو المعركة ، فلم يوافق عدياً على رأيه لأنه لم يشأ أن يكره أناساً على حرب من يسالمونهم ولا يتحمسون لقتالهم . لعلم خالد أن الحماسة هي لب المعركة وزاد المقاتل إذا حمي الوطيس . فما كان من ذاك القائد الفذ إلا أن قال لعدي : لاتخالف قومك ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط [٣] .

وقد أتم خالد تعبئته للقتال وهو على الطريق ، فجعل القبائل على ميمنته والأنصار والمهاجرين على ميسرته وصمد هو في القلب مع فئة من هؤلاء وهؤلاء .

وكان طليحة حذراً فقد أرسل العيون في الصحراء فعلم بمقدم المسلمين قبل وصولهم وأعد نفسه للحالتين النصر أو الهزيمة ، فعزل أكثر النساء لئلا يقعن في

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٦ .

(٢) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٩٥ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٩ .

السبي في حالة الهزيمة ، وأدار حوله أربعين فارساً من أشد فتيان بني أسد ليدرؤوا الهجمة عنه ، كأنه يعلم أسلوب خالد في القتال حيث كانت الضربة الأولى دائماً لرئيس القوم حتى يفت عضدهم بمقتله أو يكرهه على الفرار ، وهذه صفة من صفات خالد العسكرية في تخطيطه للحروب .

ولقد كان لجيش طليحة مزيتان هما الكثرة والراحة . فكان جيشه يفوق جيش المسلمين بألف مقاتل أو زيادة مع وفرة السلاح والركائب . وكان مستريحاً في دياره على خلاف جيش المسلمين الذي كان متعباً بعد مسير المئات من الأميال في الأودية والجبال . ولهذا أوشك طليحة أن ينتصر في بادئ الأمر لولا عزمة من عزمات قيادة خالد التي تدور برحى الحرب من طرف إلى طرف في ساعات معدودات .

فلما التقى الجيشان ثبت طليحة بجيشه وقاتلوا قتال المستميت وهجموا على المسلمين هجمة رجل واحد فكشفوا الميمنة ثم تبعتها الميسرة ، وقد ساعدهم في ذلك معرفتهم بأرضهم وراحتهم وكثرة عددهم ، حتى إن بعض الجنود أتى إلى خالد بن الوليد ينصح له أن يتراجع يومه ليعتصم بجبال طيئ ويستدرج المرتدين إليها ، فأنكر عليه نصيحته وزجره قائلاً : لا أعتصم بغير الله[١] .

فما كان من خالد إلا أن كر بجيشه على المرتدين فأرسل فرسه وترجل مقاتلاً على قدميه ليملك الحركة حيث يشاء ويكون قدوة لأصحابه ، ونادى بالأنصار كأنه ذكر موقف النبي يوم حنين :

يا أنصار الله . . فلبوه مندفعين إليه ، وثاب أبناء القبائل إلى مواضعهم فاستمر طليحة ملتفاً في كسائه يوهمهم أنه يتلقى الوحي أو ينتظر المدد من السماء[٢] .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٩٠ .

(٢) البداية والنهاية ٦/٣١٨ .

وما هي إلا لحظات حتى تخلت عنه القبائل التي تحارب معه فما كان من زعيم فزارة عيينة بن حصن إلا أن نادى في قومه :

«انصرفوا يا بني فزاره . . . فإنه الكذاب»[١] .

ولما رأى طليحة انهزام جيشه وانتصار المسلمين بفضل اللّه ثم بفضل قدرات خالد القيادية وبسالته في الحروب . ركب فرسه وأردف امرأته النوار على راحلة وراءه ونجا بها وهو ينادي أتباعه :

«من استطاع أن يفعل هكذا فليفعل» وما زال في فراره حتى لحق بالشام[٢] .

أما من جهة مسيلمة الكذاب في اليمامة فإنه قد جمع قومه ومن حالفهم من القبائل وتحصنوا باليمامة .

فبعث الخليفة الصديق عكرمة بن أبي جهل على رأس جيش من المسلمين ثم رأى حاجته إلى المدد فوجه في أثره شرحبيل بن حسنة وأمرهما أن يتلاقيا ولا ينفروا بالهجمة على اليمامة ، إلا أن عكرمة استعجل وهجم على مسيلمة قبل أن يصله المدد فنكب نكبة شديدة ، وتلقى الخليفة نبأ هذه النكبة فكتب إلى شرحبيل يأمره بالتوقف حتى يأتيه أمره [٣] .

وبعد أن أنهى خالد حروبه مع المرتدين الذين أوكل لحربهم وتأديبهم ، أرسله الخليفة إلى اليمامة ليلتقي هناك جيش شرحبيل بن حسنة الذي سبقه ولا يقل عدده عن ألفين[٤] ، إضافة إلى المدد الذي أرسله الخليفة وراءهم لينجي ساقتهم بقيادة سليط بن عمرو . وغير هؤلاء من المسلمين من بني تميم بن حنيفة .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٩ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٩٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٠٤ .
(٤) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٦ .

كما أن جيش خالد الذي قدم كان خمسة آلاف . فاجتمع لخالد جيش يقارب الثمانية آلاف .

وعندما سمع مسيلمة بتحرك المسلمين لمقاتلته مرة ثانية علم أنهم لن يقدموا لحربه بعد جيش عكرمة إلا وهم في أهبة الاستعداد بكل قوتهم . فما كان منه إلا أن جهز جيشاً ضخماً يبلغ ضعف جيش المسلمين وخرج به إلى عقرباء[١] بعد أن صالح القبائل التي حوله . وأخذ يبث العيون والسرايا لاستكشاف الصحراء وأخبار المسلمين وما إن اقترب خالد من أرض مسيلمة حتى التقى مقدمة الجيش بكوكبة من الفرسان بين الأربعين والستين عليهم مجاعة بن مرارة أحد زعماء بني حنيفة ، وكانوا من جيش مسيلمة لاستطلاع خبر الجيش المسلم . فما كان من خالد إلا أن أمر بضرب أعناقهم جميعاً واستبقى مجاعة لعلمه بالحرب والمكيدة ولأنه كان سيداً في بني حنيفة[٢] .

وفي عقرباء[٣] التحم الجيشان وثبت جيش مسيلمة وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله واندفعت في هجمتها إلى خيمة خالد من وراء العسكر وفيها امرأته إلا أن مجاعة أجارها[٤] واشتدت رحى الحرب وفي وسط جو تعالت فيه صيحات الفرسان وكثر تجندل الأبطال واختلط صهيل الخيل برغاء الجمال ، وأقبل الجيش المشرك خوفاً من العار ووسط هذا الجو الذي يصعب التحكم فيه وقد اشتبك الجيشان وتخالفوا الرماح والسيوف ، تتجلى عبقرية القائد المحنك خالد بن الوليد الذي صاح بجيشه : «امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى» .

فميز المهاجرين وميز الأنصار وميز الأعراب كل بني أب على راية ثم حمل

---

(١) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٧ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠ .
(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .

مع جيشه حملة رجل واحد وكل بني أب من المسلمين يخافون أن تكـــون الهزيمة من صوبهم . فقاتلوا قتال من يحب الموت أكثر من الحياة .

وتقدم خالد يقاتل وخلفه مجموعة من الفرسان يحمون ظهره وهو يتجاوز الصفوف وينادي مسيلمة أن يرجع إلى الحق ومسيلمة يروغ منه[١] ، وأخذ يقاتل ويطلب المبارزة منادياً بشعار المسلمين . . يا محمداه . . مشجعاً جيشه رافعاً الروح المعنوية لديهم ، والصحابة يصيحون وينادون . . . يا أنصار اللّه يا أصحاب سورة البقرة[٢] . . . كما ناداهم النبي عليه الصلاة والسلام يوم حنين وأظهر الصحابة الكثير من البطولات والملاحم (ليس هذا مجال ذكرها) .

وما هي إلا سويعات حتى فر جيش مسيلمة وهرول مسيلمة نفسه ملتجئين بحديقة خلفهم لها أسوار عالية . وما إن دخلوا حتى أقفلوا أبوابها عليهم[٣] .

وأخذوا يمطرون المسلمين بنبالهم من داخلها . وهنا تقدم أحد جنود الجيش الإسلامي وهو البراء بن مالك . الذي قد بث فيه القائد الفذ روح الحماسة والشجاعة أثناء اشتداد المعركة عندما التفت إليه خالد وقال له : « إليهم يا فتى الأنصار» فنادى في قومه أن لا مدينة لكم بعد اليوم[٤] .

وما إن رأى ذلك الجندي ما أصاب المسلمين من نبال مسيلمة وقومه حتى طلب من المسلمين رفعه على الرماح وإلقاءه من وراء السور . لكي يفتح الباب ، وفعلاً تم له ما أراده[٥] .

واستطاع أن يفتح الباب ويدخل الجيش المسلم ويلتحم مرة أخرى مع جيش

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢١ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٠٧ .
(٤) صور من حياة الصحابة ، ص ٤٤ .
(٥) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥ .

مسيلمة ، كما استطاع المسلمون أن يصلوا إلى مسيلمة الكذاب ويُردوه قتيلاً داخل تلك الحديقة التي سميت فيما بعد حديقة الموت لكثرة القتلى بها .

فقد قتل في تلك الحديقة على أقل تقدير عشرة آلاف من جيش مسيلمة وستمائة من المسلمين[١] ، كما سمي هذا اليوم بيوم القيامة[٢] .

وهكذا استطاع خالد بقيادته الفذة وشجاعته وتفوقه العسكري أن يقضي بجيشه على المرتدين وأصحاب الفتن مهما تجمعوا وتناصروا ، وكانت هذه الحروب أول شاهد للمسلمين على مصداق قول النبي -عليه السلام- أن خالداً سيف من سيوف اللّه .

ومن خلال ما رأينا في المعارك السابقة نجد أن النصر في بادئ الأمر يكون للمشركين على الجيش الإسلامي . وعلى هذا يعلق الأستاذ عباس محمود العقاد قائلاً :

«شوهد في كثير من المعارك بين المسلمين وأعدائهم في الصدر الأول[٣] أن الكرة الأولى غالباً ما تكون للمشركين ، ولا سيما حين تجتمع لهم مزية العدد والراحة حيث يختارون مكان القتال ، وهي مشاهدة لا تستغرب ولا تخالف العهود؛ لأن «الدفعة الحيوانية» أبداً لها الوثبة الأولى مع العدد الكثير وراحة الجسد، وإنما الثبات للعقيدة التي يلوذ بها الإنسان بعد المراجعة ، وللضمير الذي يثوب إليه المرء بعد الامتحان . وليس من شأن العقيدة أن تكون (كالدفعة الحيوانية) وثبة عاجلة وهجمة سوارة فاشلة . وإنما شأنها أن تحاسب النفس وتستعيد قواها وتستخرج ذخيرتها من أعماقها . فهي لهذا تنفع صاحبها في المحنة وبعد تبين الشدة . وبخاصة حين يحتاج إليها بعد الجولة الأولى»[٤] .

---

(١) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٧ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥ .
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٧/ ٢٧ .
(٤) عبقرية خالد ، ص ١٠٥ .

الدروس المستفادة:

١ ـ من الدروس التربوية أن يُذكر من يكلف بعمل بفضله ومكانته كما فعل أبو بكر الصديق مع خالد بن الوليد عندما كلفه بقيادة جيوش حروب الردة ، فإن لذلك أثر على النفس في زيادة الدافعية وتحمل المسؤولية .

٢ ـ ويضرب لنا خالد بن الوليد درساً في مراعاة نفسيات الجنود ليكونوا أكثر حماسة ودافعية عندما أعفى الطائيين من حرب حلفائهم بني أسد وأجابهم لمحاربة بني قيس .

٣ ـ من سياسة خالد في المعارك أن يوجه الضربة الأولى لقائد العدو حتى يقتله أو يجبره على الفرار وبالتالي يوهن عزائم العدو ويكسب المعركة ، ويمكن الاستفادة من هذه السياسة سواء في الحروب العسكرية أو في الحروب الباردة .

٤ ـ إن القائد المتفوق ذا الإصرار والعزيمة لا يلتفت إلى ضعاف الهمة والعزم مهما حاولوا ثنيه عن عزمه وطموحه ، وهذا ما فعله خالد في حربه مع طليحة بن خويلد الأسدي ، عندما حاول بعض جنوده ثنيه عن إقدامه .

٥ ـ إن رابطة الإسلام أقوى من أي رابطة أخرى ، فرابطة الإسلام تبقى دائماً قوية في الشدة والرخاء ، أما رابطة المصلحة فإنها سرعان ما تتفكك وتتبرأ من بعضها ، وهذا ما حدث مع طليحة الأسدي حيث تبرأت منه قبيلة فزارة ورموه بالكذب وانسحبوا من المعركة ، وما هي إلا دقائق حتى ترك هو قومه في أرض المعركة وهرب بزوجته إلى الشام .

٦ ـ في موقعة اليمامة ضرب خالد لنا درساً آخر في تقسيم المجموعات المتشابهة لبث التعاون والحماس حيث قسّم جيشه كل قوم على حدة؛ الأنصار والمهاجرين ، وكل بني أب على حدة وذلك لإضرام الحماس في نفوس الجنود ومعرفة من أين يؤتى .

قيادته خارج أرض الجزيرة:

وبتلك الانتصارات المتتالية في أرض الجزيرة استطاع المسلمون أن يوحدوا الجزيرة العربية وأن يطهروها مرة أخرى من الشرك والوثنية، وأن يجمعوا كلمة العرب تحت لواء الإسلام وأضحت هذه الدولة الفتية التي اتخذت المدينة المنورة عاصمة لها تخيف كثيراً من الدول الخارجية مثل الفرس والروم وحلفائهما من العرب .

وقد أدرك أبو بكر بحكمته وحنكته السياسية ما لقوى الشر الجاثمة وراء حدود بلاده من دور خطير في تهديد الإسلام وأهله . فأرسل جيوشه إلى تلك البقاع وندب إلى بلاد فارس جيشين بقيادة كل من عياض بن غنم وخالد بن الوليد، وأمر خالداً أن يتوجه جنوب العراق إلى الأبلة وأمر عياضاً أن يتجه إلى المصيخ شمال العراق[١] . وأيهما بلغ الحيرة قبل الآخر كان هو قائد الجيشين معاً ووجبت طاعته على زميله [٢] . كما أوصاهما الخليفة بعدة وصايا (لا يتسع المجال لذكرها) منها ألا يقبلا أحداً من المرتدين ولا يجبرا أحداً على الجهاد. فأذن خالد وعياض لمن شاء ممن معهما بالرجوع ، فرجع أهل المدينة؛ وما حولها ونقصت قواتهما، فكتب كل منهما إلى أبي بكر يطلب المدد فأمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وكان أبو بكر عليماً بالرجال حيث قال عن القعقاع: «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا»[٣] .

وما إن وصل القعقاع حتى استعاد جيش خالد قوته المعنوية فكيف يهزم جيش فيه القعقاع وقائده خالد ، وقد كثر المتطوعون للقتال من كل صوب وحدب[٤].

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢١ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٢٤ .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٨ .
(٤) عبقرية خالد ، ص ١٢٥ .

وقبل أن نخوض في معارك خالد بن الوليد مع الفرس والروم أحب أن أسطر ما كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد من تعليق حول معارك خالد :

« حسبنا أن نقول على الإجمال إنه لقي الفرس وأولياءهم في خمس عشرة وقعة لم يهزم ولم يخطئ ولم يفشل قط في واحدة منها ، وأن قواداً من المسلمين أخطؤوا في حروب الردة وحروب الفرس والروم، كما حدث من عكرمة وشرحبيل وأبي عبيدة وخالد بن سعيد ، ولكن خالداً لم يخطئ قط عن خدعة أو عجلة أو قلة أهبة ، وكان يسير بجيشه أبداً على تعبئة كاملة ليقاتل عدوه حيث لقيه مفاجئاً أو غير مفاجئ، وكان أبداً كما وصفه عمرو بن العاص : «في أناة القطاة ووثبة الأسد» فلا يهمل الحيطة ولا يجعل التمويل كله على الشجاعة دون الحزم والحيلة ، ولا يعز عليه أن يتحامى لقاء عدوه في بعض الساحات لينتقل به إلى المكان الذي هو أصلح لحركاته وأعون له عليه . ومن علمه بفنون القتال أنه كان يحارب بثمانية عشر ألفاً وكأنه كان يحارب بخمسة أضعاف هؤلاء . فإذا أرسل أربعة آلاف أو ثلاثة آلاف إلى مكان يغنون فيه فذاك أجدى من تسيير الجيش كله أو تسيير عدد منه يربو على الحاجة الضرورية . . فإن طرأ في خلال مسيره ما ليس في الحسبان فمعوله في الحالة على سرعة خاطفة كسرعة الباشق (البازي) وهو ينقض على فريسته ، فلا تشعر الفرقة التي أشخصها إلى مكانها بالحاجة إليه حتى يكون معها كأنها لم تفارقه ولم يفارقها .

فهي شجاعة ويقظة وخبرة وسرعة ومعرفة بما هو لازم في وقت لزومه ، ولم تخذله خصلة من هذه الخصال قط في ساحات فارس ولا في ساحات الشام مع اختلاف الميادين واختلاف الأحوال واختلاف الأعداء» (١) .

وقد قسم خالد جيشه إلى ثلاثة أقسام ليسير كل قسم من طريق مختلف ، فقدم المثنى على رأس فرقة ثم ألحق به عدي بن حاتم صاحبه في حرب بني أسد ، ثم لحق بهم على رأس جيشه وواعدهم موضعاً إلى الجنوب الغربي من البصرة

(١) عبقرية خالد ، ص ١٢٦ .

الآن ، ولعله توخى تسهيل السقي والمرعى بهذا التقسيم ، ثم اختبار الطريق بقيادة الرجل الذي كانت له سابقة الدراية بهذه الدروب [١] .

وفي العراق خاض خالد بن الوليد معارك ذات السلاسل والمذار والوجة وأليس ثم الحيرة وذات العيون وعين التمر ثم دومة الجندل والحصير والخنامس والمصيخ والثني والزميل والفراض ثم انتقل إلى الشام [٢] .

وفي معركة ذات السلاسل طلب القائد الفارسي « هرمز» خالداً للمبارزة قبل التحام الجيش ، وقد أضمر نية الغدر حيث أوكل إلى مجموعة من فرسانه إذا خرج خالد بين الصفين والتحم المتبارزان (ظناً منه أن المبارزة ستطول) أن يهجموا هجمة واحدة فيقتلوا خالداً ومن ثم ينقض جيش الفرس بما فيه من تفوق العدد والعدة على المسلمين فينهوهم عن بكرة أبيهم ، إلا أن خالداً فارس المبارزة وبطل الأسنة قضى على هرمز من بدايات الجولة الأولى ، وفيما هو منشغل بالإجهاز عليه إذ فوجئ بهجمة الفرسان الفارسية التي أعدت لذلك . وما هي إلا لمحة بصر أو أقل وإذا بالقعقاع يصيح بالمسلمين وينقض على الفرس حامياً لظهر خالد[٣] ويشتبك الجيشان ويشتد القتال حتى فر الفرس مدبرين وقد كثر بهم القتل وهم في سلاسلهم التي ربطوا أنفسهم بها ، وسميت هذه المعركة بذات السلاسل [٤] .

وقد علم الفرس بعد قتل هرمز وتشتت جيشه أن الهجمة القادمة على المدائن عاصمة ملكهم . فجهزوا جيشاً عظيماً بقيادة قارن بن قريانس ومعاونه أميران من بيت أردشير واتجهوا إلى مذار [٥] .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١٢٧ .
(٢) المدرسة العسكرية ، ص ١٩ .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢١٨ بتصرف .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٩ .
(٥) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٢٣ .

وما إن علم المثنى بن حارثه بقدوم هذا الجيش العظيم حتى كتب إلى خالد يطلب النجدة فتحرك إليه خالد في مذار ووصل إليه وهو بكامل تعبئته واستعداده والتقى الجيشان واشتبك الأبطال . وقتل في تلك المعركة من الفرس ما يقارب ثلاثين ألفاً . ولولا النهر ولياذ الفرس بالسفن لما فلت من الموت منهم أحد[١] .

وبعد هاتين الهزيمتين استنجد الفرس بحلفائهم من العرب . ظناً أن هناك سراً في قتال العرب والعرب أعرف ببعضهم في فنون القتال . وجمعوا جيشاً عظيماً من الفرس والعرب في منطقة الوجة [٢] .

وسار خالد إلى الوجة . وقبل أن يصل إليهما عزل فرقتين من جنوده لتحمي ظهر الجيش وتظهر على المعركة بعد بدئها لتكون سنداً للجيش المسلم ترفع من همته وتذكي حماسه وتخذل العدو .

وبدأ القتال وطالت المدافعة والمراوغة بين الجيشين قبل أن يظهر الكمين وبوادر النصر تنتقل تارة إلى المسلمين وتارة إلى الفرس وحلفائهم ، وبعد أن أعيى الجيشين القتال وطول الصبر والمجالدة ظهر الكمين الأول فارتفعت معنويات المسلمين واندهش الفرس وقبل أن يفيقوا من دهشتهم ، وإذا بالكمين الثاني يظهر مكبراً فما كان من الفرس إلا أن تولاهم إعياء اليأس بعد إعياء الصبر والمجالدة . فولوا مدبرين وقد كثر فيهم القتل والأسر[٣] حتى ولى قائدهم الأندر منهزماً فمات عطشاً[٤] . وهكذا حقق الله النصر بفضله ثم بحكمة القائد الفذ ابن الحروب وفارس الخطط العسكرية .

وما إن سمع الشاهنشاه بتلاحق الهزائم على جيوشه حتى أعد جيشاً عظيماً وعسكر في منطقة «أليس» وانضمت إليه القبائل العربية الموالية للفرس[٥] وقد

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢٣ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٢٩ .
(٣) المنتظم ٤/ ١٠٢ .
(٤) المنتظم ٤/ ١٠٢ .
(٥) قادة فتح العراق و الجزيرة ، ص ١٢٥ .

أسندت قيادة هذا الجيش إلى بهمن جاذويه الذي تأخر عن الخروج مع جيشه ليلقى مولاه الشاهنشاه يباحثه في بعض الأمور ويأتي منه بمدد يقوي به جيشه حيث أناب عنه قائداً يدعى جابان وقال له وهو يودعه: «كفكف نفسك وجندك عن قتال القوم حتى ألحق بك»(١).

وبعد وصول جيش الفرس إلى «أليس» ظلوا ينتظرون قائدهم وأمروا بتهيئة الطعام. ظناً منهم أن المعركة لن تبدأ إلا بعد وصول القائد وبعد التفاوض، ومن المهم أن المعركة لن تبدأ إلا بعد المبارزة كما اعتادوا في حروبهم(٢).

إلا أن خالداً الذي كان على أهبة الاستعداد دائماً لما رأى حالهم وانشغالهم بالطعام داهم القبائل العربية وحدها فقتل قائدها وأثخن القتل في صفوفها ومن ثم ثار الفرس إلى السلاح مكرهين قبل وصول قائدهم، والتحم الجيشان وثبت كل من الفريقين إلا أن ثبات العقيدة كان أطول وأصلب. وما هي إلا سويعات حتى ولى الفرس مدبرين غير مقبلين، وقد قتل منهم سبعون ألفاً(٢).

وفي أثناء هذه الانتصارات المتتالية تزف إلى المسلمين فرحة كبيرة وهي تسليم الحيرة من غير قتال. وللحيرة صدى ومكانة في نفوس العرب، فهي بلد الشعر والبلاغة ومنها النابغة الذبياني (٤) وذلك بعد محاصرتها ودخول الخيل إليها، وقد صالحهم خالد على مائة ألف وتسعين ألفاً في كل سنة(٥) وبهذا استطاع خالد أن يسبق عياض بن غنم إلى الحيرة.

كان كل ما يحدث والخليفة الصديق يرقب جيوشه ويتلقى الأخبار أولاً بأول، فمن جيوشه ما هزم ومنها ما هو في تردد بين نصر وغيره إلا جيش خالد الذي تتوالى انتصاراته واندحار عدوه، فقال الصديق وهو يبلغ الناس أنباء الظفر ليزفوا بشراها إلى الجزيرة العربية: «يا معشر قريش.. عدا أسدكم على

(١) الطريق إلى المدائن، ص ٢٣٤.
(٢) عبقرية خالد، ص ١٣٠.
(٣) المنتظم ٤/ ١٠٣.
(٤) عبقرية خالد، ص ١٣٣.
(٥) المنتظم ٤/ ١٠٤.

الأسد فغلبه على خراذيله . . أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد» [١] .

وهذه شهادة من الخليفة الصديق قد ترجمتها أفعال خالد قبل في المرتدين وتأكدت في فتح بلاد فارس والرومان .

وأرسل الخليفة إلى خالد أن ينتظر ولا يتعدى الحيرة حتى يلحق به زميله عياض بن غنم ، لكي يأمن كل منهما الطريق من خلفه ، وهذه حيطة من الخليفة للجيوش الإسلامية لئلا تتوغل في أرض فارس وهي لم تأمن بعد من تلك الجيوش المهزومة . وفعلاً وقف خالد عن المسير ما يقارب سنة[٢] تعرض خلالها لكثير من الحوادث التي دل تصرفه فيها على تفوقه العسكري وحسن تصرفه .

ومن تلك المواقف أن خالداً في معركة «أليس» غنم سفناً كثيرة من الفرس فأركب جيشه فيها ليريح مطاياه بعض الوقت ، وما إن قطع بعض المسافة حتى جف النهر وذلك لأن الفرس لما علموا بذلك انطلقوا إلى قناطر الحيرة وحبسوا الماء عن مجراه . ولو أن أحداً غير خالد من أهل البادية الذين ما عرفوا إلا سفن الصحراء (الإبل) لنزلوا إلى جمالهم وتركوا السفن ، ولكن خالداً ذلك القائد الذي بلغ به تفوقه أن يتقلب في الحروب والمكائد كما يتقلب السمك في الماء . . . انطلق مع فرقة من جيشه إلى القناطر وأطلقوا الماء ولبثوا هناك في حراستها وفي انتظار السفن حتى ارتفعت براكبيها فوق الماء [٣] .

وفي موقعة الأنبار حفر العدو خندقاً ثم احتموا وراءه بحصن ينظرون إلى المسلمين من فوقه ساخرين ومستهزئين ماذا سيصنع العرب الذين ما عرفوا إلا الصحراء ؟ لكنهم لم يعرفوا حقيقة قدرات خالد العقلية الذي ما إن رأى الخندق حتى أمر بنحر الإبل العجاف وإلقائها فيه ، ومن ثم دعا جيشه للعبور عليها . فأصبح من في الحصن سجناء بين يديه يتوسلون إليه أن يجردهم من أموالهم

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١١١ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٣٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٤ .

ومتاعهم وأن يبقيهم أحياء فأجابهم لما أرادوا [١] .

وفي موقعة أخرى في عين التمر علم خالد أن عقة بن عقة قد جمع حشوداً من تغلب وأياد وأصحاب المتنبئة سجاح ، ليوهم الفرس أنه ند للعرب وأنه أخبر بهم من غيرهم . وقد علم خالد ما في نفس عقة من الكبر والخيلاء فأراد أن يلقنه درساً يعتبر به غيره فما إن التقى الجيشان حتى قال خالد لمن حوله : اكفونا ما معه فإني حامل عليه بنفسي ، وفعلاً احتضنه خالد وحمله أسيراً أمام مرأى من الجند[٢] ، رغم صعوبة الأسر في المبارزة . وهذه هي طريقة خالد في توجيه الهجمة الأولى على قائد الجيش ليشل حركته ويوهن عزيمته ، وفعلاً ما هي إلا سويعات حتى ولى جيش العدو مدبراً .

ومن جهة أخرى فإن عياض بن غنم قد طالت عليه المدة حيث اجتمعت لحربه القبائل في دومة الجندل . وأخذت تساندها القبائل العربية التي هزمها خالد . ولما علم عياض بن غنم بانتصارات خالد . أرسل إليه يستشيره ويستنجده . فما كان من خالد إلا أن لبى الدعوة وكان بينه وبين دومة الجندل أسبوعان فقطعها في عشرة أيام . وهنا نرى أسلوب حل المشكلات بطرق إبداعية . وما إن وصل خالد حتى وجد حصن الدومة مكتظاً بمن فيه حتى إن جيوش العدو قد عسكرت بالعراء فجعل خالد العدو بينه وبين عياض ، وتولى عياض القتال وحده بعد أن ارتفعت معنويات جيشه بوصول جيش خالد ، وما هي إلا سويعات حتى اشتدت المعركة وثبت المسلمون ووثبوا على عدوهم وثبة رجل واحد . حتى فر الأعداء من أرض المعركة يريدون الحصن إلا أن خالداً سابقهم الحصن وحال دون النازلين في الحصن ومن حوله ، والتحمت الجيوش حتى أعز الله جنده وهزم عدوه[٣] .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢٩ .
(٢) المنتظم ٤/ ١٠٧ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٩ .

وبعد دومة الجندل تحرك خالد بجيشه إلى الفراض حيث وقعت هناك معركة تعتبر من أكبر المعارك التي تشهد لخالد بحنكة القيادة والتفوق العسكري ولعل الفراض كانت آخر أعمال خالد العسكرية في العراق، والفراض تقع في أعلى العراق بين الفرس والروم . وقد اجتمع هناك الكثير من عرب البادية وبعض الفرس وجيش دولة الرومان الشرقية [١] وما إن تقابل الجيشان حتى قال الروم مثلما قال الفرس لأبي عبيدة إما أن تعبروا إلينا وإما إن نعبر إليكم، فلم يصنع خالد مثلما صنع أبو عبيدة . بل قال لهم اعبروا أنتم إن شئتم . وتركهم يعبرون ليحصرهم بينه وبين النهر حتى لا يفر منهم أحد ثم أمر الفرسان وأهل الرماح أن يعزلوهم مجموعات متفرقة ويضيقوا عليهم مسالكهم، ثم يقضوا عليهم مرة واحدة ، وهم أشبه بمن قيد إلى حبل المشنقة لا حول له ولا قوة[٢] .

هكذا كان حال المسلمين في بلاد فارس انتصاراً يتلوه انتصار ، وقد دوخ خالد الفرس ومهد للفتح ، إلا أن حال المسلمين في بلاد الروم لم تكن كذلك فقد تأخر الفتح هناك على أيدي كبار القواد من كبار الصحابة . فما كان من الخليفة إلا أن أمر خالداً بالتوجه إلى الشام وأن يكون أمير الجماعة عند التقائه بأبي عبيده وكان الخليفة يقول : «لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد» [٣] .

وما إن كُلف خالد بالتوجه إلى الشام ، حتى أخذ يسأل عن أقرب الطرق وأسرعها وكان هناك عدة طرق منها ما هو كثير الماء والكلأ إلا أنه كثير الناس الذين قد يعترضون الجيش ويؤخرون وصوله في الوقت المناسب . وهناك طريق كثير الماء والكلأ إلا أنه طويل قد تطول أيام المسير فيه ، كما أن هناك طريقاً قصيراً إلا أنه وعر وقليل الماء والكلأ . فما كان من خالد إلا أن اختاره وسار فيه بعد أن أخذ الأدلاء [٤] ، وفعلاً استطاع خالد أن يصل إلى الشام في ثمانية عشر

---

(١) الطريق إلى المدائن ، ص ٣١٠ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٣٨ .
(٣) الطريق إلى دمشق ، ص ٢٣٩ .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٧ .

يوماً . لأنه كان يطوي مسافة اليومين في يوم واحد كما قال الشاعر : «في اليوم يومين رواحا وسرى . . . »[١] . وكان عدد جيشه عشرة آلاف مقاتل .

وكان الخليفة قد سير إلى الشام قبل قدوم خالد عدة جيوش بقيادة كل من يزيد بن أبي سفيان على رأس ستة آلاف أو سبعة إلى دمشق ، وسير شرحبيل ابن حسنة على مثل هذا العدد إلى الأردن ، وسير عمرو بن العاص على رأس جيش يزيد على ذلك قليلاً إلى فلسطين ، وسير أبا عبيدة بن الجراح على رأس خمسة آلاف أو ستة آلاف إلى الجابية .

وقد نجحت هذه الجيوش في مهامها وتقدم بعضها إلى دمشق وبعضها إلى حمص وبعضها أوغل في فلسطين . فلما علم قادة الجيوش الإسلامية أن قيصر الروم يستعد لهم بجيش عظيم في أنطاكية وجيش آخر بجوار بيت المقدس وبلغت عدة الجيش الأول كما يقول بعض المؤرخين مائتين وأربعين ألفاً ، وعدة الجيش الثاني سبعين ألفاً تراجع قادة الجيوش الإسلامية بعد التشاور إلى الجنوب ليتجمعوا قبل أن يتلاقى الجيشان الرومانيان ويشتبكا بهم وهم متفرقون ومتباعدون ، ولعلهم في تراجعهم يصبحون أقرب إلى الأمن إذا حاربوا وظهورهم إلى الصحراء ، وقد عرفوا أن الجيوش الرومانية تقف عند حدودها ولا تجسر أن تخوض الصحراء[٢] .

وفعلاً اجتمعت الجيوش الإسلامية ، لتصبح جيشاً واحداً يواجه جيش الروم العظيم وذلك في أرض اليرموك ، وقد رضي كل من الجيشين بموقعه من أرض اليرموك للموقعة الفاصلة التي لها ما بعدها . ونزل الروم في منزل لا يحسدون عليه بل قد أفرح المسلمين لأن الروم قد حصروا أنفسهم بين النهر والبحيرة والوادي وجيش المسلمين حتى قال عمرو بن العاص حين رآهم :

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١٤٣ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ١٤٥ بتصرف .

«أيها الناس أبشروا . . حصرت والله الروم»، وقلما جاء محصور بخير[١].

وقد تحاجز الجيشان عدة أشهر كلاهما ينظر كيف يبدأ الآخر وكل منهم ينظم قواته . فما كان من قائدنا الفذ ذي الخبرة العسكرية والدراية بنفوس القواد إلا أن صرف همه الأول إلى تنظيم الفرق جميعاً في تعبئة واحدة يقودها رجل واحد ويظهر منه مبدأ الإيثار وعدم الأنانية ، فخطب في القواد وأوصاهم بالتقوى والإخلاص وعدم الغرور . وحثهم على القتال وأن له ما بعده ، ثم قال: «فهلموا نتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتآمر كلكم ودعوني إليكم اليوم[٢] .

قال بعض المؤرخين : إن خالداً لما كتب إليه أبو بكر بقصد الشام أمره على جميع الجند ، وقال بعضهم بل أمره على جنده فقط ، والظاهر أن الرواية الثانية أصح لما ذكره ابن الأثير والطبري من أن خالداً لما انتهى إلى المسلمين في اليرموك، وجد الأمراء متساندين كل أمير على جنده فرغب إليهم أن يؤمروه عليهم جميعاً فأمروه[٣] .

والذي يظهر لنا أن كتاب أبي بكر لخالد بأن يكون أميراً على الجماعة عند التقائه بأبي عبيدة ، القصد من الجماعة جيش أبي عبيدة وجيش خالد فقط . ولو كان خالد أميراً عاماً لما ترك الروم يطاولون في القتال لعدة أشهر بل لدبر الأمر لدحرهم منذ وصوله إلى اليرموك .

فأقام خالد أبا عبيدة بن الجراح في القلب وعمرو بن العاص على الميمنة ويزيد بن أبي سفيان على الميسرة وقسّم الجيش إلى كراديس وجعل على كل

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٧ .
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٩ .
(٣) أشهر مشاهير الإسلام ، ص ١٦٧ .

منها قائداً معروفاً من أمثال: القعقاع بن عمرو وأبي عبيدة وعكرمة بن أبي جهل، وعياض بن غنم ويزيد بن أبي سفيان [١] وقد بلغ عدد الكراديس ثمانية وثلاثين[٢] معظمها في القلب، وقيل: إنها تصل الأربعين[٣]، وطريقة الكراديس أصلح للنفاذ بين الصفوف وأدعى للتنافس بين المقاتلين وتمييزهم بالتبعة أو بالثناء.

وبدأ القتال بين الجيشين بعد أن اختير في يوم ريح سموم سافياء في حمارة القيظ وكانت طاقة المسلمين به أكبر من طاقة الروم [٤]. ثم اشتبك الجيشان وكثر القتلى إلا أن المسلمين صبروا وثبتوا أمام العدو كل جندي يؤدي الدور المطلوب منه في مصابرة لا نظير لها، فهذا عكرمة يصيح مؤنباً نفسه: «قاتلت رسول الله في كل موطن وأفر اليوم؟ من يبايع على الموت؟»، فبايعه أربعمائة من الفرسان المغاوير وثبتوا أمام العدو [٥].

ثم حمل خالد بن الوليد بالخيل على ميسرة الروم التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب، وقتل المسلمون في حملتهم هذه ستة آلاف من الروم. ثم حمل بمائة فارس على مائة ألف من الروم فانهزموا أمامهم بإذن الله[٦].

وكان خالد يقاتل ويرمق أرض المعركة وكيف تدور. فلما رأى خيل العدو وما تقوم به من هجمات ضد المسلمين حمل بمن معه وعزل بين خيل العدو ومشاته فتضايقت الخيل وعجزت عن الجولان وولت هاربة فأخلوا لها الطريق، ورجع المشاة إلى الخنادق فلحق بهم المسلمون وأحاطوا بهم من ورائهم فشاع

(١) خالد بن الوليد المخزومي، ص ١٤٠.
(٢) الطريق إلى المدائن، ص ٣٥٨.
(٣) المنتظم ٤/ ١١.
(٤) عبقرية خالد، ص ١٥١.
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦١.
(٦) البداية والنهاية ٧/ ١٢.

بينهم الذعر وأعمل فيهم المسلمون السيوف والرماح . حيث أخذ الروم يتساقطون بسلاسلهم التي ربطوا أنفسهم بها جماعات لتزيدهم ثباتاً إلا أنها عرقلت هروبهم ومكنت المسلمين من رقابهم . وهكذا انتصر المسلمون في اليرموك بقيادة سيف اللّه المسلول . وقد قتل من الروم مائة وعشرون ألفاً على الأقل ، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف [١] .

وبعد معركة اليرموك فر هرقل مودعاً الشام وبخاصة أنه قد نصح قومه قبل اليرموك بالصلح مع المسلمين ودفع الجزية فلم يسمعوا لكلامه [٢] وطارد الجيش الإسلامي فلول الروم حتى أثخنوهم بالجراح وكانت هذه المعركة بداية فتح بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح [٣] .

عزل خالد:

تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر الصديق وجيش المسلمين يحارب الروم في اليرموك بقيادة خالد بن الوليد الذي شاع اسمه وانتصاراته في الجزيرة . . وفي أرض فارس . . وفي الشام . . وعرف بين الناس أن جيش خالد لا يُهزم .

ولمَا لعمر بن الخطاب من عقل ورأي سديد وافق القرآن العظيم في أكثر من موضع ، ولما له من فراسة صائبة . أدرك أن جميع انتصارات المسلمين قد علقت باسم خالد ، فخاف الخليفة إن قتل خالد أو مات أن يرتد الناس وينقلبوا على أعقابهم ، وفي نفس الوقت قد تضعف همم المسلمين وحماسهم للحروب في حالة موت خالد ، فأراد الخليفة الجديد أن يثبت للناس أن النصر ليس مربوطاً بخالد وحده وإنما هناك من القادة الأكفاء من يمكنهم أن يقوموا بما

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٣ بتصرف .

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٥ .

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٥٠ .

قام به خالد . . وهذا ما أثبته عمر بن الخطاب حين كتب إلى الأمصار :

«إني لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة ، ولكن الناس فَخّموه وفُتنُوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ، فأحببت أن يعلموا أن اللّه هو الصانع ، وأن لا يَكونوا بعرض فتنة»(١) .

وفي رواية قال عمر :

« واللّه لأنزعن خالداً . . حتى يُعلم أن اللّه ينصر دينه » (٢) .

ونشهد موقفاً عظيماً لخالد بن الوليد الذي أتاه البريد وهو يقاتل الروم في اليرموك ويستل النصر بما فيه من صعوبة واستحالة من الروم . وقرأ خالد الكتاب الذي فيه تحية الفاروق الخليفة الجديد للجيش المسلم ونعيه لأبي بكر الصديق ، ثم الأمر بتنحية خالد عن القيادة وتولية أبي عبيدة بن الجراح مكانه(٣) .

وبعد أن قرأ خالد الكتاب طلب من حامل الكتاب وهو محمية بن زنيم ألا يبوح لأحد بما فيه وألزمه مكاناً أمره ألا يغادره ولا يتصل بأحد ، واستأنف خالد قيادة المعركة مخفياً ما حدث حتى تحقق النصر في تلك المعركة (٤) ولم يرد خالد أن يعلن للجنود ما حدث في أثناء القتال حتى لا يحدث تخاذل في صفوف المسلمين(٥) وفي رواية أن أبا عبيدة علم بعزل خالد قبل أن يعلم خالد بذلك فلم يخبره بذلك إكراماً له وإجلالاً .

وبعد انتهاء المعركة سلم خالد القيادة العامة للجيش لأبي عبيدة وقال

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٦٠ .
(٢) الاستيعاب ٢/ ٧٩٤ .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦٠ .
(٤) المنتظم ٤/ ١١٩ .
(٥) موسوعة عباقرة الاسلام ، ص ٢٣٠ .

للناس عن أبي عبيدة: «بعث عليكم أمين هذه الأمة»، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول:

"خالد سيف من سيوف اللّه، ونعم فتى العشيرة" (١).

ويعتبر هذا الموقف من خالد ضرباً من ضروب السمع والطاعة والجندية الكاملة، فهو الرجل الذي أينما وقع نفع، ولو أن هذه الحادثة وقعت لأحد قواد العصر الحديث لقلب الدنيا رأساً على عقب وما رضي أن يرجع جندياً في الجيش. ولرأيناه ينشق عن الدولة ويطلب اللجوء السياسي.

إلا أن خالداً طراز فريد من نوعه فقد ضرب أروع الأمثلة في إنكار الذات لصالح الدولة وللصالح العام وقبل هذا وذاك فإنه يسعى إلى مرضاة اللّه. وليست الدنيا بأكبر همه.

وبقي خالد في الجيش جهده المبذول وهو أمير يطاع كجهده المبذول هو جندي مطيع(٢)، فقد اشترك في كثير من المعارك تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح كما أرسله أبو عبيدة على رأس جيش لفتح قنسرين ومرعش (٣).

وقد قضى خالد بقية أيامه بعد عزله في مدينة حمص ـ زهاء أربع سنوات ـ وانتهت حياته بين سنة إحدى وعشرين واثنتين وعشرين (٤).

وقد أوصى -رحمه اللّه- بتركته إلى عمر بن الخطاب (٥)، ولم يدع بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه، فقال عمر رضي اللّه عنه: رحم اللّه أبا سليمان، كان على ما ظنناه به (٦).

---

(١) حديث صحيح في الجامع الصغير وزيادته حديث رقم ٣٢٠٨.
(٢) رجال حول الرسول، ص ٣٨٢.
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٤ - ١٥٦.
(٤) عبقرية خالد، ص ١٨١.
(٥) خالد بن الوليد المخزومي، ص ١٦٢.
(٦) صور من سير الصحابة، ص ٦٦٣.

ولما أحس عمر بالموت قال : لو أدركت خالد بن الوليد لوليته ، فإذا قدمت على ربي فسألني : من وليت على أمة محمد ؟ قلت : أي ربي ، سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد سيف من سيوف الله ، سله الله على المشركين[١] وعند وفاة خالد بن الوليد قال قولته الشهيرة : «شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء» [٢] .

الدروس المستفادة :

ـ مشروعية مهاجمة العدو الذين يخاف شرهم وذلك تأميناً للدولة ونشراً للإسلام مما يقوي شوكة الإسلام ويزيد من هيبته .

ـ إن القوة العسكرية لم تنحصر فقط في خالد بن الوليد ، بل كانت ظاهرة في ذلك المجتمع ولعل من أبرز متفوقي القوة العسكرية القعقاع بن عمرو الذي قال فيه أبو بكر الصديق : «لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل»[٣] .

ومما يثبت تفوق القعقاع ما أظهره من شجاعة وسرعة بديهة عندما أنقذ خالداً من غدر الفرس في معركة ذات السلاسل .

ـ مشروعية الخدعة في الحرب كما فعل خالد بن الوليد في معركة الولجة عندما عزل من جيشه كمينين وجعلهم يباغتون العدو ليوهنوا من عزمه ويرفعوا معنويات المسلمين .

ـ يعتبر بث روح التنافس من المبادئ التي اعتمد عليها المسلمون في حروبهم ، ومن أمثلة ذلك ما فعله أبو بكر الصديق عندما أرسل خالد بن الوليد

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٦٣ .
(٢) خالد بن الوليد المخزومي .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٠٨ .

وعياض بن غنم كلاً منهما على رأس جيش وقال: من وصل الحيرة أولاً فهو الأمير. ومن الأمثلة كذلك ما فعله خالد بن الوليد بتقسيمه جيشه كل بني أب على راية.

- يجب على القائد ألا يستأثر بكل شيء له، بل عليه أن يتقرب إلى الناس ويتنازل عن بعض حقوقه ليبقى محبوباً من الجميع، وخير مثال على ذلك ما فعله خالد بن الوليد في معركة اليرموك عندما طلب من قواد الجيوش السابقين أن يتبادلوا الإمارة فيما بينهم كل يوم لواحد مع أن الخليفة أبا بكر الصديق قد عيّن خالداً قائداً عاماً للقوات (كما جاء عند بعض المؤرخين). ويعتبر هذا التصرف لخالد من حسن التعامل مع الناس وكسبهم. فلعل بعض القواد ما زال في نفسه شيء من حب القيادة مع أن القواد كلهم من أجلاء الصحابة إلا أن خالداً أراد أن يقضي على وساوس الشيطان.

- يجب على المسلم أن يكون إيجابياً في كل عمل يشترك فيه كما فعل عكرمة بن أبي جهل في معركة اليرموك حيث بايع أربعمائة من الفرسان المغاوير على الموت أو النصر، والإيجابية لا تكون في الحروب فحسب بل تكون في كل عمل يشترك فيه الإنسان سلماً أو حرباً.

- ومن أعظم الدروس وأكثرها وقعاً على النفس هو إنكار الذات لأجل الصالح العام، وهذا ما فعله خالد بن الوليد في معركة اليرموك حيث عزل من القيادة العامة للجيوش ليصبح جندياً عادياً في الجيش، ولم يحمل في نفسه شيئاً من العصيان أو الكيد بل نفَّذ الأمر بكل رحابة صدر، إنها التربية الإيمانية والجندية الحقيقية الملتزمة بأوامر القيادة مهما كانت ثقيلة على النفس، ويجدر بالمعلمين أن يعلموا أبناءهم على إنكار الذات وعدم الأنانية ويدربوهم على الإيثار والعمل للصالح العام، وهذا ما يُسهم فيه التعلم التعاوني.

شهادات واعترافات بتفوقه العسكري:

قدم خالد بن الوليد الكثير من الأعمال البطولية والانتصارات الساحقة ما يشهد بتفوقه العسكري وذكائه، ويكفي خالد بن الوليد عزاً وفخراً ما شهد به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى في قوله لخالد: **«كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى الخير»**(١).

ومما يشهد بتفوقه العسكري كذلك ما قاله خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقائد الأعلى للدولة الإسلامية عندما جمعت الروم مائتي ألف جندي لمحاربة جيوش المسلمين في الشام، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد في العراق وأمره أن يتجه إلى الشام ويتولى قيادة الجيوش الإسلامية هناك، وقال رضي الله عنه قولته المشهورة:

«والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»(٢).

ومما يؤكد تفوقه العسكري وقوة دافعيته للجهاد في سبيل الله ما قال -رضي الله عنه- عن نفسه:

«كنت وما ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد»(٣).

وعلى الرغم من أن المسيرة العسكرية لخالد بن الوليد تمتد في أعماق التاريخ لألف وأربعمائة عام تقريباً إلا أن أعماله العسكرية تعتبر بجميع المقاييس والمعايير المعمول بها في عالمنا اليوم وبدون تحيز أو محاباة أعمالاً

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤.
(٢) ذكر المرجع سابقاً.
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٧١.

عسكرية سابقة لعصرها بعدة آلاف من السنين ، وأمامنا الجنرال الألماني مولتكه أعظم قادة الألمان في العصر الحديث يقول متفاخراً: «إن أستاذي في القيادة هو خالد بن الوليد» وهناك روميل ثعلب الصحراء الشهير يقول : «إن مثلي الأعلى هو خالد ابن الوليد»(١) .

أبرز خصائص التفوق لديه:

لقد تميز خالد بن الوليد بكثير من الخصائص التي تدل على تفوقه، وتظهر تلك الخصائص بوضوح من خلال تكرارها في معاركه بحيث نستطيع أن نستخلص من المعركة الواحدة الكثير من خصائص التفوق . ولعل من أهم الخصائص ما يلي :

١ ـ القائد الفذ : تميز خالد بن الوليد بكثير من الصفات القيادية التي حققت له الكثير من الانتصارات والفتوح مما خلد اسمه في التاريخ وجعله قدوة للأولين والآخرين من المسلمين وغير المسلمين كما قال كل من الجنرال الألماني مولتكه وروميل(٢) .

يقول القائد الركن محمود شيت خطاب : « لا أعرف قائداً عبقرياً في تاريخ المسلمين غير الرسول صلوات الله وتسليمه عليه ، يمكن أن يفضل على القائد العبقري خالد بن الوليد» (٣) .

قاد- رضي الله عنه- الكثير من المعارك في الجاهلية والإسلام ولم يهزم قط في المعارك التي كان يقودها إلا أنه خسر في بعض المعارك الجاهلية التي شارك فيها عندما كان مشركاً ولعل السبب هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان خصمه مثل بداية غزوة أحد وغزوة الأحزاب ، فتغلبت قيادة

(١) المدرسة العسكرية ، ص ١٧ .
(٢) ذكر سابقاً تحت عنوان شهادات واعترافات بتفوقه .
(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢٤٩ .

الرسول -عليه الصلاة والسلام- وحكمته على عبقرية خالد بن الوليد .

وكان خالد يقاتل أكثر من أي فرد من رجاله فيضطر لتبديل سيفه أكثر من مرة كما فعل في غزوة مؤتة .

ولكي ندرك عظم قيادة خالد علينا التمعن فيما سيأتي من خصائص .

٢ ـ العمر العقلي أكبر من العمر الزمني : عُرف خالد برجاحة عقله واتزانه منذ الجاهلية ، لذلك صارت إليه الأعنة والقبة من بين رجال قومه بالرغم من حداثة سنه حين تولى هذين المنصبين الخطيرين .

كما انتخب في غزوة مؤتة لقيادة الجيش بالرغم من وجود كثير من كبار الصحابة وأولي السبق في الإسلام .

وحسب خالد شهادة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- برجاحة عقله عندما قال: «قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير»[١] وقال عنه: «ما مثل خالد من جهل الإسلام»[٢] ومن يتمعن في إنجازات خالد وانتصاراته يدرك أن مثلها أو قسماً منها لا يمكن تحقيقه إلا بتفكير عميق .

٣ ـ القوة البدنية والصحة الجسمية : لقد كان خالد متكامل الخلقة قوياً، طويلاً ضخماً بعيد ما بين المنكبين، واسع الهيكل [٣] .

كما كان متفرغاً للتدريب مما يزيد قابليته لتحمل المشاق العسكرية ولا نعرف أنه أصيب بأمراض تقعده عن العمل، كما أنه تولى قيادة فرسان المشركين في الجاهلية وهو في ريعان شبابه ، وقاد المسلمين- رضي الله عنه- في كثير من المعارك وهو في أوج شبابه وقوته [٤] .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٤) .
(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٢ .
(٤) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٢ بتصرف .

لقد كان خالد يتمتع بلياقة بدنية عالية ظهرت من خلال معاركه التي خاضها فوق أرض العراق وقام بتنفيذها خلال العام الثاني عشر من الهجرة والتي بلغ تعدادها نحو خمس عشرة معركة [١] . وكل أعمال خالد كانت تدل على أنه يتمتع بلياقة بدنية عالية .

٤ ـ **الرشاقة وخفة الحركة** : من يتتبع سيرة خالد بن الوليد وخاصة في المعارك يدرك ما يمتلكه من رشاقة وخفة حركة غير عاديتين ، وهذا ما تتطلبه الحروب على الخيل بالسيوف والرماح وما في تلك المعارك من كر وفر أثناء القتال ، كما عبر امرؤ القيس عند وصفه لجواده أثناء القتال .

مكر مفر مقبل مُدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل [٢]

ومهارة الكر والفر تحتاج إلى رشاقة وسرعة حركة غير عاديتين لأن الموقف خطير وأي خطأ أو بطء في الحركة قد ينهي حياة الإنسان لذلك كانت هذه الخاصية شرطاً في الفرسان وأبطال الحروب .

ولنا أن نتذكر ما فعل خالد بن الوليد بهرمز قائد الفرس في معركة ذات السلاسل ، حيث قضى عليه في بداية المبارزة وكذلك ما فعل بعقه بن عقه عندما أسره على مرأى من الجند في بداية موقعة عين التمر ، وهكذا كان خالد بفضل صحته الجسمية ورشاقته البدنية يقضي على مبارزيه بأقصر وقت ممكن .

٥ ـ **الشجاعة وقوة الشخصية** : لقد ذهب خالد بن الوليد إلى مؤتة جندياً بسيطاً إلا أنه عاد إلى المدينة قائداً منتخباً بتزكية جميع أفراد الجيش بما فيهم كبار الصحابة بلا أي معارض ، ولا نشك أن قوة شخصية خالد كانت من ضمن أسباب اختياره قائداً للجيش .

وتبرز شخصية خالد في عدم تردده عند اتخاذ قراراته وعدم الإصغاء لضعاف

---

(١) جواهر الأدب ، ص ٣٦ .

(٢) المدرسة العسكرية ، ص ٢٢ .

الهمة والمترددين ، كما فعل في حروب الردة عند ملاقاة جيش طليحة الأسدي .

كما تظهر قوة شخصيته في شجاعته وإقدامه وهيبة أعدائه منه حيث إنه نصر بالرعب ، فقد سبقه اسمه إلى أطراف الدولتين فحارب أعداءه بهيبته قبل أن يحاربهم بسيفه، قال صاحب دومة الجندل لقومه حين سمع بمسيرة خالد إليه : «أنا أعلم الناس بخالد . لا أحد أيمن طائراً منه ولا أصمد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه . فأطيعوني وصالحوا القوم»[١] .

وفي معركة اليرموك برز أحد قادة الروم واسمه جرجه في إحدى استراحات المعركة وطلب خالد أن يقابله فقال لخالد : أحقاً أن الله أنزل على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟

قال خالد : لا .

فقال جرجة : فبم سميت سيف الله؟

فقال خالد : أرسل فينا نبينا فاتبعناه وصدقناه وقال لي أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله . فدخل الرومي الإسلام ونطق بالشهادتين ودخل في جيش المسلمين[٢] ، وقد توفي رضي الله عنه وما في بدنه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية[٣] .

٦ ــ قوة الدافعية : لقد كانت دافعية خالد قوية للمعارك العسكرية منذ نشأته حيث إنه لم يحترف أي حرفة بل كرّس جهده ووقته على التدريب وتعلّم المهارات القتالية .

ولما كان تفوق خالد في القوة العسكرية فقد بلغت به دافعيته أن يوطن

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١١٥ .
(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ١٥١ ، المنتظم ٤/ ١٢٠ بتصرف .
(٣) أسد الغابة ٢/ ٩٥ .

نفسه على طبائع البادية وخشونة العيش كأكله الضب .

ويقول -رضي اللّه عنه- معبراً عن حبه للجهاد وتعلقه به :

« كنت وما ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد»(١) .

٧ ـ معنويات مرتفعة : لقد اتبع خالد في كل معاركه أسلوب رفع معنويات رجاله وتحطيم معنويات أعدائه .

ولا يتمتع الإنسان بالمعنويات العالية إلا بعدة عوامل لعل أهمها الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار الصائب . والشجاعة والثقة بالجنود، كما أنهم يطلبون الموت لتوهب لهم الحياة، وهم بذلك يستشعرون الأجر طالبين الشهادة والجنة .

أطلق الرسول -عليه الصلاة والسلام- على خالد لقب سيف اللّه، واللقب يساعد في رفع المعنويات، فعندما انهارت معنويات المسلمين في اليمامة بعد هزيمة جيش عكرمة بن أبي جهل أرسل أبو بكر خالداً إليها ، فانتصر .

كما نصر خالد بالرعب -كما رأينا- في قصة جرجه الروماني ومقولة أكيدر ابن عبد الملك صاحب دومة الجندل .

وفي اليرموك هتف أحد المسلمين : «ما أكثر الروم وأقل المسلمين»، فأجابه خالد فوراً : «ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال» (٢) .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٩ .

٨ ـ الثقة بالنفس : تتبدل نفسيات كثير من الرجال لا سيما ما بين الشدة والرخاء إلا أن خالداً لا تتبدل نفسيته سواء في حالة النصر أو الاندحار، فقد كان يستطيع أن يسيطر على أعصابه سيطرة تامة في أحلك المواقف وأشدها، وكذلك في الأوقات التي يكون فيهما متفائلاً منتصراً .

وقد استطاع أن يضبط أعصابه في غزوة حنين عند اندحار مقدمة المسلمين التي كان يقودها ، وثبت مع رجاله بجانب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام حتى كتب لهم النصر . وفي مؤتة استطاع أن يقود المسلمين إلى ساحة النجاة ليعود بهم ثانية إلى ساحة النصر في اليرموك .

ومن المواقف التي تشهد له سيطرته على أعصابه عندما أتاه البريد ليخبره بموت أبي بكر وعزله عن القيادة العامة وتولية أبي عبيدة عامر بين الجراح، وكان ذلك في أحرج أوقات المعركة (اليرموك) فلم تتبدل نفسيته ولم يدخله شك أو ريب في قدرته وقيادته، بل قاد المعركة حتى نهايتها وكأن شيئاً لم يحدث .

وكانت ثقته بنصر الله ثقة لا حدود لها ، وهو الذي قال لأهل «قنسرين» : «إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا»(١) .

ومن ثقته بنفسه إقدامه على مبارزة الأبطال في بدايات المعارك ، والقضاء عليهم حيث بلغت به الثقة في موقعة عين التمر عندما أسر قائد العدو عقة بن عقة أن قال لجنوده : «اكفونا ما معه فإني حامل عليه بنفسي» ، وفعلاً استطاع أن يحتضنه ويحمله أسيراً أمام جنوده .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٤ .

٩ ـ النظرة المستقبلية : كان خالد يفكر في الاحتمالات القريبة والبعيدة التي يمكن أن ينفذها العدو ، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن يصادفها قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، ويعد سلفاً الخطط المناسبة لكل ما يتوقعه من أعمال عدوه ، حتى يمكن وضع تلك الخطط ـ عند الحاجة ـ في موضع التنفيذ دون تردد ولا ارتباك (١) .

في معركة الفراض قال قائد الروم لخالد : «إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم» ، فقال خالد : «اعبروا» ، ذلك لأن خالداً قدر ما يحتمل أن يؤدي إليه العبور من محاذير وأخطار ، وفي موقعة «أليس» وصلت قوات المسلمين فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها ، فعاجل خالد الفرس بالقتال فانتصر عليهم ، وكان الفضل في ذلك سبق النظر عند خالد الذي كان دائماً على تعبئة كاملة مستعداً للقتال في أية لحظة .

وقد وصفه عمرو بن العاص قائلاً : «له أناة القطاة ووثوب الأسد» .

١٠ ـ المجازفة النابعة من قوة الإرادة : لقد كانت مجازفة خالد من ذلك النوع المتزن الذي يستند إلى القوة والإرادة الصلبة ، ولم تكن مجازفته رضي الله عنه مجازفة من حب المجازفة فقط ، فإن هذا النوع الأخير له محاذيره وأخطاره الكثيرة .

لقد كان إقدام خالد لمحاربة أقوى إمبراطوريتين في حد ذاته مجازفة تدل على إرادته القوية ، ففي معركة ذات السلاسل مع الفرس كان عدد جيش المسلمين ثمانية عشر ألفاً فقط يقاتلون أضعاف أضعافهم من الفرس (٢) .

وفي اليرموك كان عدد قوات المسلمين ستة وأربعين ألفاً بينما كان الروم في مائتين وأربعين ألف مقاتل (٣) .

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢٢١ .

(٢) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١١٩ .

(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٧ .

لقد كان التفوق في العدد والعدة لصالح أعدائه في أغلب معاركه إلا أنه ينتصر عليهم دائماً بما يُعد من خطط مناسبة تمتزج بقوة الإرادة وعلو الهمة .

ومن مجازفته المتزنة اختياره ذلك الطريق القصير الوعر قليل الماء والكلأ عندما اتجه من العراق إلى الشام لكي يصل إلى موقعة اليرموك بأسرع وقت ، ولعل هذه من أبرز صفات الإبداع المعروفة حديثاً .

١١ ـ تحمل المسؤولية : من أبرز مزايا خالد أنه كان يتحمل المسؤولية إلى أبعد الحدود فإذا اقتنع بشيء أصدر قراره الحاسم للبت في الأمر دون انتظار وصول الأوامر والتوجيهات والوصايا من مرجعه الأعلى (١) .

ومن أمثلة تحمله للمسؤولية : في أعقاب يوم «اليمامة» بعد إبرام الصلح بين خالد وبين بني حنيفة وَرَدَ كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم ، لكن خالداً وفى بعهده ولم يغدر (٢) متحملاً بذلك كل المسؤولية ومتيقناً لو أن أبا بكر في محله لفعل مثلما فعل .

ومن الأمثلة كذلك عندما ترك جيشه في العراق بعد انتصاره على الروم في معركة الفراض ليؤدي فريضة الحج دون أن يأخذ موافقة أبي بكر ؛ لذلك عاتبه أبو بكر على هذه المخالفة الصريحة (٣) ، لكن عذر خالد أنه ذهب للحج سراً في وقت لا خطر فيه على قواته ، وأن غيابه عن جيشه لم يترك أثراً سيئاً في الموقف العسكري ، كما أن تحمله للمسؤولية شمل الأمور المالية كذلك فلما كتب إليه أبوبكر في ذلك أجابه خالد : «إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك وعملك»(٤).

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٨ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٠٥ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٩ .
(٤) الإصابة ٢ / ٩٩ .

ومما يؤكد على أهمية اتصاف القائد بتحمل المسؤولية ما كتبه المشير رومل في مذكراته حيث أكّد على أن يكون القائد متحملاً للمسؤولية قادراً على تقدير الموقف وإصدار القرارات الصحيحة [١] .

١٢ ـ السرعة في اتخاذ القرار الصحيح : لا بد للقائد الناجح أن يعطي قرارات سريعة وصحيحة في آن واحد ، يعالج بها المواقف الطارئة بسرعة في الحرب ، إذ إن القرارات البطيئة قد لا تكون ذات فائدة لفوات وقتها ، كما أن القرارات الخاطئة تضر ولا تفيد، أي أنها تكون في مصلحة العدو [٢] .

وقد اعتمد خالد في قراراته على ذكائه وخبرته العسكرية إضافة إلى ما يجمع من معلومات عن تحركات عدوه بالدوريات وبالعيون وباستنطاق الأسرى وباستشارة ذوي الخبرة سواء من رجاله أو من عدوه ممن يقع تحت قبضته . حسبنا أن نتذكر كيف عرف أن المدافعين عن أسوار دمشق قد تركوا مواضعهم ، فانتهز هذه الفرصة السانحة وقرر مهاجمتهم فوراً ، ففتح هذه المدينة بعد حصار طويل [٣] .

ومن الأمثلة كذلك ما فعل في غزوة أحد حيث استطاع أن يتخذ القرار الصحيح بكل سرعة ويقلب كفة المعركة لصالح جيش المشركين وذلك قبل إسلامه .

وفي معركة اليمامة عندما قسَّم جيشه كل ولد أب على راية ، ليعلم من أين يؤتى حتى تحقق له النصر . هكذا كان خالد بن الوليد قد أعد نفسه في أي وقت لاتخاذ القرار السريع الصحيح .

١٣ ـ الإصرار والمثابرة : تميز خالد بقوة إصراره على النصر ، ورفع

---

(١) مذكرات رومل ٢/ ٣٤ في : خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٧٨ .
(٢) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٦ بتصرف .
(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٦ .

معنويات جنده ومثابرته وتحمله لشدائد الحرب وأهوالها ، ولا تخلو معركة من معاركه من قوة الإصرار والمثابرة، ففي غزوة حنين عندما رأى اندحار قوات المسلمين وهروبها ثبت بجانب النبي عليه الصلاة والسلام وأصر على النصر حتى كتب الله النصر للمسلمين وظل يطارد المشركين حتى احتموا بالطائف وهو ينادي : هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟ .

ومن الأمثلة كذلك ما فعل في حروب الردة سواء في اليمامة أو مع طليحة الأسدي حيث أصر على النصر ولم يستمع لرأي من أشار إليه بالانسحاب واللجوء إلى جبال طيئ؛ وفعلاً ثابر وجالد في المعركة حتى انتصر، كما انتصر كذلك في اليمامة بعد طول صبر ومصابرة وبعد أن أوشك جيش مسيلمة أن ينتصر في بادئ الأمر حيث إنهم وصلوا إلى خيمة خالد وكادوا أن يقتلوا زوجته. لكن قوة إصرار خالد ومثابرته مكنته- بعد عون الله- من النصر وقتل مسيلمة ودحر قواته .

١٤ ـ **الالتزام بالمهمة** : استطاع خالد بن الوليد أن ينفذ بكل نجاح كل ما أوكل إليه من مهام ، ففي عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- استطاع أن يقوم بكل أعماله وينال إعجاب النبي-عليه الصلاة والسلام- حتى أطلق عليه لقب سيف الله، وفي عهد أبي بكر استطاع أن ينتصر على المرتدين وأن يوحد الجزيرة ويقضي على أهل الردة، كما حقق انتصارات عديدة على الفرس والروم وهيأ الإمبراطوريتين للفتح الإسلامي العظيم .

ومما يُعين على الالتزام بالمهمة قوة العقيدة واستشعار الأجر وتحمل المسؤولية وسرعة اتخاذ القرار الصحيح مع الشجاعة وارتفاع المعنويات ، وهذه جميعاً توافرت عند خالد كما أسلفنا سابقاً .

١٥ ـ **سرعة الإنجاز** : مع ما سبق من صفات عظيمة اتسم بها خالد فقد كان مع ذلك يحرص على سرعة الإنجاز ليجنب المسلمين أكثر قدر من الخسارة في العدد والعتاد، ففي أغلب معاركه كان يوجه الضربة الأولى لقائد العدو حتى

يقتله أو يجبره على الفرار كما فعل مع طليحة الأسدي في حروب الردة ومع عقة بن عقة في موقعة عين التمر، ومن أمثلة سرعة إنجازه ما فعله في معركة ذات السلاسل مع القائد الفارسي هرمز .

وفي فتح مكة استطاع أن يصل مع باقي القوات إلى نقطة الالتقاء في نفس الموعد مع أنه تعرّض لقتال عكرمة بن أبي جهل ، وباقي القوات لم تتعرض لأي قتال .

كما استطاع أن يصل إلى الحيرة بعد معارك كثيرة قبل أن يصل زميله عياض بن غنم، الذي انطلق معه من أرض الجزيرة وجعل الخليفة الحيرة مكان التقائهما .

١٦ ـ المهارة في حسن التعامل : لقد كان خالد مثالاً في حسن التعامل مع جنده وقادته، فكان موضع ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- وأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة بن الجراح، وهؤلاء هم الذين عمل خالد بإمرتهم بعد إسلامه .

كما كان خالد يبادلهم الثقة ، فهو يثق بنفسه كما يثق بجنوده، وقد بلغ من ثقته بنفسه وبرجاله أنه نزل على غير ماء في معركة (كاظمة) ثم أمر مناديه فنادى : «جالدوهم على الماء ، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين»(١) .

ومن الأمثلة كذلك اصطلاح الناس عليه في مؤتة وكان من بينهم كبار المهاجرين والأنصار. وهذه ثقة عالية من المسلمين فليس من السهل أن يثق الرجال بقائدهم وليس من السهل أن يستحوذ القائد على ثقة رجاله به، فالرجال يريدون من قائدهم أن يدافع عنه ويحميهم من الأخطار .

---

(١) الإصابة ٢/ ٩٩ .

وقد جمع خالد ثقة الناس به ومحبتهم له ، ولنا أن نتذكر كيف بادر القعقاع بن عمرو والجيش المسلم إلى إنقاذ خالد من غدر القائد الفارسي هرمز في معركة ذات السلاسل ، ولم تقتصر الثقة بخالد على جنوده بل كان القواد الآخرون يثقون به ويستشيرونه فيما يواجهونه من مصاعب وأهوال مثلما فعل عياض بن غنم في دومة الجندل عندما أرسل إلى خالد يستشيره ويستنجده .

كما ظهر حب الناس لخالد وتقديرهم له بعد موته ، حيث لم تبق له سلطة ولا نفوذ ليخشاه الناس ويرجوه ، فرثاه عمر بقوله : «قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق»[١] ورثاه كثير من الصحابة وكثير من الشعراء .

أما حب خالد لرجاله فيكفي أن نذكر أنه كان يستأثر دونهم بالمخاطر ويؤثرهم بالخير والأمان ، ويحب لهم ما يحب لنفسه فكان دائماً في مقدمة الجيش عند الإقدام وفي الساقة عند رجوع الجيش . وهذا ما أكده المشير رومل في مذكراته على أن القائد يجب أن يقود رجاله من (الأمام) لا من (الخلف) ، فيقول : يجب على القائد أن يُدرك أن مكانه ليس في الخلف مع هيئة أركانه ، وإنما في الأمام مع قواته ، فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يجلس في الخلف بمقر قيادته[٢] .

وفاتـــه :

استقر -رضي اللّه عنه- قبل وفاته في مدينة حمص وتوفي فيها سنة إحدى وعشرين للهجرة ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة[٣] . ولما مات رضي اللّه عنه لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر رضي اللّه عنه : «رحم اللّه أبا سليمان كان على ما ظنناه به»[٤] .

---

(١) الطريق إلى المدائن ، ص ٣٦٨ .

(٢) مذكرات رومل ٣/ ٤١٦ في : خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٧٩ .

(٣) عبقرية خالد ، ص ١٨١ .

(٤) صور من سير الصحابة ، ص ٦٦٣ .

روى ابن أبي قتيبة أنه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم أربعين رجلاً فبادوا ، وجاء في أسد الغابة عن الزبير بن بكار أن ولد خالد بن الوليد انقرضوا فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة [١] .

رضي اللّه عن أبي سليمان وأرضاه ، وجعل من شبابنا من يقتدي به ويأخذ من سيرته نبراساً يضيء له الطريق .

(١) أشهر مشاهير الإسلام ، ص ١٧٩ .